د. عبد الله شحاتة

رؤية الدين الإسلامي في الحفاظ على البيئة

دار الشروق

رؤية الدين الإسلامي
في
الحفاظ على البيئة

طبعة دار الشروق الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

© دار الشروق
أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى -
رابعة العدوية - مدينة نصر
ص . ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩
فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكتروني: email: dar@shorouk. Com.

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسل الله أجمعين، وعلى خاتمهم سيدنا محمد النبى الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد..

هذه دراسة عن (رؤية الدين الإسلامى فى الحفاظ على البيئة). وقد كان الإسلام سبَّاقا فى إعطاء نظرة متكاملة لهذا الكون الرحيب، فهو أثر من آثار قدرة الله، يجب علينا تقديره واحترامه، والتعاون على سلامته ونظافته، وحسن استخدامه، والبعد عن الفساد فيه، فهو البيئة الواسعة التى حبانا الله بها.

كما يجب المحافظة على البيئة المحلية كالبيت والشارع والحى والتربة والمياه، والوقاية من الأمراض، والتغلب عليها، والتعاون فى نظافة البيئة وسلامتها ومساعدة الآخرين، والتعاون معهم، فالله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه.

البيئة فى اللغة العربية

كلمة البيئة من (بوآ) . ويقال تبوأت منزلا أى نزلته ، وبوأت الرجل منزلا ، بمعنى هيأته ومكنت له فيه .

وقال تعالى فى سورة يوسف : ﴿ وكذلك مكنّا ليوسف فى الأرض يتبوآ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين ﴾ (يوسف : ٥٦) .

والمباءة منزل القوم فى كل موضع . ويسمى كناس الظبى والثور الوحشى (وهو موضعه فى الشجر يكتن فيه ويستتر) مباءة . وكذلك معاطن الإبل (مباركها عند الماء) والغنم (مرابطها حول الماء) مباءة . يتضح من هذا السرد أن البيئة هى المنزل والمكان الذى ينزل فيه الإنسان أو الحيوان .

كما أن البيئة تعبر عن الحالة ، فيقال : هو من بيئة حسنة ، أو إنه لحسن البيئة . ويقال هو من بيئة سيئة ، أو هو من بيئة سوء .

وبذلك يمكن القول إن البيئة فى اللغة العربية قد يقصد بها المكان ، أو الحالة التى عليها الكائن والناجمة عما يكتنفه من ظروف .

والبيئة هى الإطار الذى يمارس الإنسان فيه حياته . والبيئة أيضا : هى مجموعة الظروف والأحوال والمواد والأحياء ، التى قد تؤثر على الإنسان ويتفاعل معها . وفى هذا الإطار مجموعة من العناصر والعوامل التى يتأثر بها نشاطه الفسيولوجى ، مثل الهواء والماء وأيضا الأرض التى يعيش عليها الإنسان .

«كما تشمل البيئة عناصر الثروة مثل الزراعة والرىّ، والمصايد والغابات والمعادن والبترول .

إذن فالبيئة بالنسبة للإنسان هى إطار الحياة، وهى مصدر للثروة والإنتاج، والصلة بين الإنسان وبيئته صلة عضوية .

وبناء عليه فإن من الضرورى تحديد احتياجات الإنسان وترشيد حصوله على هذه الاحتياجات حتى لا يؤدى الغلوّ فيها إلى تشويه البيئة مما يهددها ويهدد الإنسان بالخطر »[1] .

(١) البيئة والتلوث من منظور الإسلام : خالد محمود عبد اللطيف ـ دار الصحوة للنشر والتوزيع .

الباب الأول

نظرة الإسلام إلى الكون والبيئة

خلـق الكـون

خلق الله هذا الكون بقدرته، ومرت بالكون بلايين السنين، حتى صار صالحا للحياة، وخلافة الإنسان فى الأرض. وقد عبر القرآن الكريم عن مدّة الخلق بأنها كانت ستة أيام: يومان لخلق الأرض، ويومان لخلق الجبال والبحار والأنهار، وتقدير الأقوات وما يتصل بها، ويومان لخلق السماء.

وتشير آيات القرآن الكريم إلى تداخل مرحلة الخلق، وكل مرحلة كانت تمهد للمرحلة التالية، قال تعالى: ﴿ أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين * ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين * فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ (سورة فصلت: الآيات ٩ ـ ١٢).

وتفيد هذه الآيات، وآيات أخرى فى القرآن الكريم، أن خلق الكون قد مرّ بفترات زمنية طويلة جدا، ولم يكن فى ذلك الوقت شمس أو قمر أو ليل أو نهار، قال تعالى: ﴿ وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ﴾ (سورة هود: ٧).

وقال سبحانه: ﴿ أأنتم أشد خَلقا أم السماءُ بناها * رفع سَمْكها فسوّاها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والأرضَ بعد ذلك دحَاها * أخرَج منها

ماءها ومرعاها * والجبالَ أرساها * متاعا لكم ولأنعامكم ﴾ (سورة النازعات: ٢٧ ـ ٣٣).

والتأمل فى الآيات العديدة، التى تحدثت عن خلق السموات والأرض، وعن خلق الكون، يجعلنا نخلص إلى النقاط الآتية:

١ ـ وجود مراحل ست للخلق عموما.

٢ ـ تداخل مراحل خلق السموات مع مراحل خلق الأرض.

٣ ـ خلق الكون ابتداء من كومة أولية فريدة، وكانت تشكل كتلة متماسكة، انفصلت أجزاؤها بعد ذلك.

٤ ـ تعدد السموات وتعدد الكواكب التى تشبه الأرض.

٥ ـ وجود خلق وسيط بين السموات والأرض.

٦ ـ إن المطابقة واضحة بين مفهوم السديم الأولى فى العلم الحديث، والدخان على حسب آيات القرآن الكريم للدلالة على الحالة الغازية للمادة التى كونت الكون فى هذه المرحلة الأولى.

أصل الحياة:

شغلت هذه المسألة الإنسان فى كل العصور سواء ما كان يخصه منها أو ما يخص الكائنات المحيطة به، وعندما يواجه القرآن أصل الحياة على مستوى عام تماما، فإنه يذكر ذلك بإيجاز بالغ مثل قوله تعالى: **﴿أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رَتْقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حى أفلا يؤمنون﴾** (سورة الأنبياء: ٣٠).

والرتق ضد الفتق، ومعنى **﴿كانتا رتقا﴾** أى كانتا ملتصقتين، ففتق الله هذه من هذه فرفع الله السماء، ووضع الأرض، وفصل بينهما بالهواء، فأمطرت السماء وأنبتت الأرض، قال تعالى: **﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حى أفلا يؤمنون ﴾**. (والعبارة يمكن أن تعنى أن كل شيء مصدره الماء كمادة جوهرية، أو أن أصل كل شيء حى هو الماء). ويتفق هذان المعنيان تماما مع العلم، فالثابت بالتحديد أن أصل

الحياة مائى، وأن الماء هو العنصر الأول لكل خلية حية، فلا حياة ممكنة بلا ماء. وإذا ما نوقشت إمكانية الحياة على كوكب ما، فإن أول سؤال يطرح هو : أيحتوى هذا الكوكب على كمية كافية للحياة عليه ؟ وتسمح المعطيات الحديثة بالاعتقاد بأن أقدم الكائنات الحية كانت تنتمى إلى عالم النبات: فقد اكتشفت طحالب ترجع إلى ما قبل العصر الكمبرى، أى أقدم الأراضى المعروفة، ولابد أن عناصر عالم الحيوان ظهرت بعد ذلك بقليل، وقد أتت أيضا فى المحيطات.

(وتشير كلمة ماء إلى ماء السماء كما تعنى ماء المحيطات، أو أى سائل آخر. وبالمعنى الأول فالماء هو العنصر اللازم لأى حياة نباتية، قال تعالى : ﴿ وأنزَلَ من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى﴾ (سورة طه : ٥٣).

إن كلمة ماء بمعناها الثانى، أى ذلك الذى يعنى (سائلا) دون أى تحديد، مستخدمة فى شكلها غير المحدد للدلالة على ما هو أصل تشكل أى حيوان.

قال تعالى : ﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾ (النور: ٤٥).

وتنطبق كلمة ماء هنا أيضا على السائل المنوى [١] ، وسواء كان المقصود هو أصل الحياة عموما أو العنصر الذى يجعل النباتات تولد فى التربة، أو كان المقصود هو بذر الحيوان فإن كل عبارات القرآن تتفق تماما مع المعطيات العلمية الحديثة، ولا مكان مطلقا فى نص القرآن لأى خرافة من الخرافات التى كانت منتشرة فى عصر تنزيل القرآن الكريم [٢] .

من كلام المفسرين للقرآن الكريم

(أ) خلاصة ما ورد فى تفسير المنار للسيد رشيد رضا :

﴿وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام﴾ (هود: ٧)، من أيام الله تعالى فى الخلق والتكوين وما شاء من الأمور، لا من أيامنا فى هذه الدار التى

---

(١) سائل مفروز بواسطة الغدد الخاصة بالتناسل وهو يحتوى على الحيوانات المنوية.

(٢) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة، للمستشرق موريس بوكاى الترجمة العربية نشر دار المعارف بالقاهرة ص ٢١٢.

وجدت بهذا الخلق لا قبله، فلا يصح أن تقدر أيام الله بأيامنا كما توهم الغافلون عن هذا. وما يؤيده قوله تعالى: ﴿وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ (الحج: ٤٧) وقوله: ﴿تَعْرُجُ الملائكةُ والرُّوح إليه في يوم كان مقدارُه خمسين ألف سنة﴾ (المعارج: ٤) وقد ثبت في علم الهيئة الفلكية أن أيام غير الأرض من الدراري التابعة لنظام شمسنا هذه تختلف عن أيام هذه الأرض في طولها، بحسب اختلاف مقادير أجرامها وأبعادها. وسرعتها في دورانها، وأن أيام التكوين بخلقه من الدخان المعبر عنه بالسديم شموسا مضيئة، تتبعها كواكب منيرة يقدر اليوم منها بآلاف الألوف، من سنين، بل من سني سرعة الضوء أيضا.

(ب) وجاء في تفسير المنار أيضا لقوله تعالى:

﴿أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون﴾ (الأنبياء: ٣٠).

والمعنى ألم يعلموا أن السموات والأرض كانتا مادة واحدة متصلة، لا فتق ولا انفصال، وهو ما يسمى في عرف علماء الفلك بالسديم، وبلغة القرآن بالدخان، ﴿ ففتقناهما﴾ بفصل بعضهما عن بعض فكان منها ما هو سماء ومنها ما هو أرض ﴿وجعلنا من الماء﴾ في المقابلة لحياة الأحياء ﴿كل شيء حي أفلا يؤمنون﴾ بأن الرب الفاعل لهذا، هو الذي يعبد وحده ولا يشرك به شيء، وأنه قادر على إعادة الخلق[1] كبدئه ؟.

المؤمن والكون

يتأمل المؤمن في خلق الله، معترفا بعظمة الخالق، الذي أوجد هذا الكون البديع على غير مثال سابق، قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السموات والأرض أكبر من خلق الناس ﴾ (غافر: ٥٧).

والإنسان مستخلف عن الله تعالى في عمارة هذا الكون وتحسينه، بل والتسابق في إتقان العمل، وتيسير المأكل والمشرب، وتطوير الصناعة والتقنية، وترشيد

(١) تفسير المنار جزء ١٢ ص ١٦ طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الإنفاق والمحافظة على البيئة. قال تعالى: ﴿ تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير * الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور ﴾ (الملك: ١، ٢).

وقد شاء الله أن يكون هذا الكون متكاملا فى خلقه، بديعا فى صنعه، وجميع ما فى الكون يدور بين الخلق والجعل، أى الإيجاد من عدم، وحفظ الحياة وتكاملها فى هذا الكون. قال تعالى: ﴿الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾ (سورة الأنعام: ١).

وقال سبحانه: ﴿إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب * الذين يَذْكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ (سورة آل عمران: ١٩٠، ١٩١).

نظام الكون

يسير الكون حسب نظام بديع دقيق، فالسماء عالية، والأرض مبسوطة، والجبال راسية، والبحار جارية، والشمس مسخرة، والقمر منير، وكل شيء يؤدى دوره فى دقة متناهية، بوفرة كثيرة، فالنجوم والمجرات والأفلاك تسير فى نظام بديع، مر عليه بلايين السنين، وهو فى يد العناية الإلهية.

يقول الله تعالى: ﴿إن الله يُمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إنْ أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا ﴾ (فاطر: ٤١).

ويقول سبحانه: ﴿إنا كلَّ شيء خَلَقناه بقدَر﴾ (القمر: ٤٩).

ويقول تعالى: ﴿وكلُّ شيء عنده بمقدار﴾ (الرعد: ٨).

ويقول عز شأنه: ﴿وإن مِّن شيء إلا عندنا خزائنه وما نُنَزِّله إلا بقدَر معلوم﴾ (الحجر: ٢١).

ويقول تعالى : ﴿والأرضَ مددْناها وألقينا فيها رواسىَ وأنبتنا فيها من كل شىء موزون﴾ (الحجر : ١٩).

منظومة الكون

إن هذه المنظومة الكونية، بينها تناسق وتناغم، وهى تؤدى نشيدا إلهيا، يعبر بلسان الحال والمقال، عن عظمة المبدع الخالق الذى لا مثيل له ولا نظير، وكل شىء فى الكون يسبح بحمد الله، لأنك إذا نظرت إلى روعة النجوم أو جمال البدر، أو تنفس الصباح أو حمرة الأفق، انبعث من قلبك الإجلال والتسبيح والتقديس لمن خلق هذا الجمال البديع، أو إن هذا الكون يسبح فعلا بلغة لا نعرفها، فهو يستجيب لأمر خالقه، ويظهر خضوعه للخالق العظيم.

قال تعالى : ﴿ ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والأرض والطيرُ صافَّاتٍ كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ﴾ (سورة النور : ٤١).

أى أن كل شىء فى هذا الكون له دور يؤديه، وواجب يقوم به، وهذا العمل هو فى ذاته صلاة وتسبيح، وطاعة للخالق القادر سبحانه وتعالى.

وفى الحديث النبوى الشريف، يقول النبى صلى الله عليه وسلم : «أطّت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع قدم إلا وفيه ملك راكع أو ساجد يسبح الله تعالى».

فالملائكة تسبح بحمد الله وتظهر له الخضوع والطاعة، والإنسان المؤمن يسبح فى صلاته ودعائه وإيمانه، والإنسان الكافر يسبح بلسان حاله، لأنه مخلوق يحتاج إلى خالق، بل إن ظل الإنسان ليسجد ويستجيب، حين يبدأ الظل صغيرا ثم يكبر، ويمتد الظل ثم ينحسر، ولا يكسر ما تحته ولا يؤذيه.

قال تعالى : ﴿ ألم تر إلى ربك كيف مَدَّ الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا* ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا ﴾ (الفرقان : ٤٥، ٤٦).

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال ﴾ (سورة الرعد : ١٥).

فكل من فى السموات من الملائكة والنجوم والشموس والأقمار يسجد لله، وكل من فى الأرض من الأشجار والأنهار والبحار، والنبات، والإنسان، يسجد لله أيضا. المؤمن يسجد طوعا، أى طائعا حين يؤدى الصلاة، أو يذكر الله ويسبحه، والكافر يسجد كرها، لأن وجوده وهيئته دليلان على خالق بديع.

وتسجد الظلال أيضا، ظلال المؤمنين، وظلال الكافرين، فى الصباح عند شروق الشمس، وفى الآصال عند تحرك الشمس للغروب، قال تعالى: ﴿ ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمسُ والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب... ﴾ (سورة الحج: ١٨).

أنعم الله

كل شيء يتحرك مسبحا بحمد الله، الصباح والقيلولة، والأصيل والغروب، وظلام الليل، وضوء القمر. وفى الكون التنوع الهائل، واختلاف الأشكال والألوان والوظائف، وكل شيء خلقه الله هو آية رائعة مليئة بالعبر، وتشير من وراء ذاتها إلى عظمة خالقها، وحكمته ومقاصده فى خلقها فيقول الله تعالى: ﴿ الذى جعل لكم الأرض مَهدا وسلك لكم فيها سُبُلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى * كلوا وارعَوا أنعامكم إن فى ذلك لآيات لأولى النهى ﴾ (طه: ٥٣، ٥٤).

ويقول سبحانه: ﴿وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنومَ سُبَاتا وجعل النهار نشورا * وهو الذى أرسل الرياح بُشرا بين يدى رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا * لنُحييَ به بلدة ميْتا ونُسقيَه مما خلقنا أنعاما وأناسىَّ كثيرا * ولقد صرفْناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كُفُورا﴾ (سورة الفرقان: ٤٧ ـ ٥٠).

لقد شاء الله أن يشتمل الكون وعناصره على تحقيق مصلحة الإنسان، فجعل الله له الليل والنوم، ليهدأ ويستريح، وجعل النهار لينتشر ويعمل، وأرسل الرياح وأنزل المطر، لإحياء الأرض وسقاية الزرع والأنعام والإنسان، وصرف الله المطر بحكمته بين الناس ليتذكروا خالقهم ورازقهم، بينما أصر أكثر الناس على الكفران والجحود، ومع هذا يرزقهم الله ويعافيهم بحلمه وفضله.

خلافة الإنسان فى الأرض

خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه، وفضله على كثير من خلقه، واستخلف الله آدم وذريته لعمارة الأرض وإصلاحها، قال تعالى: ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ﴾ (سورة البقرة: ٣٠).

وقال تعالى: ﴿ هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ﴾ (سورة هود: ٦١).

فالإنسان مستخلف على إدارة الأرض، وفقا لمقاصد خالقها، لاستثمارها لنفعه، ولنفع غيره من الخلق، ولتحقيق مصالحه ومصالحهم جميعا، وهو لذلك أمين عليها، فيجب أن يتصرف تصرف الأمين فى حدود أمانته.

روى البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون ».

ويعبر الحديث عن رسالة الإنسان في هذه الحياة فهو مستخلف عن الله فى عمارة الكون، والله تعالى مطلع عليه وسيجازيه على عمله الجزاء الأوفى.

تميز الإنسان

يعتبر الإنسان جزءا من هذا الكون، الذى تكمل عناصره بعضها بعضا، ولكنه جزء متميز، وله موقع خاص بين أجزاء الكون. وصلة الإنسان بالكون هى:

١ ـ صلة التأمل والتفكير والاعتبار فى الكون وما فيه.

٢ ـ صلة الاستثمار المتوازن الحافظ، والانتفاع والتعمير، والتسخير لمنافعه ومصالحه.

٣ ـ صلة العناية والرعاية، لأن أعمال الإنسان الصالحة، غير محدودة بمصلحة الإنسان وحده، بل تمتد إلى مصالح خلق الله أجمعين، فخير الناس أنفعهم للناس، وفى كل كبد رطبة أجر.

روى البيهقى فى شعب الإيمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «الخلق عيال الله فأحب الخلق إلى الله من أحسن إلى عياله».

لم نخلق عبثا

خلق الله الكون لحكمة وغاية إلهية كريمة، قال تعالى : ﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين * ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ (الدخان: ٣٨، ٣٩).

ويقول سبحانه : ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا تُرجَعون * فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم﴾ (سورة المؤمنون: ١١٥، ١١٦).

وهكذا يعلمنا القرآن الكريم أن ننظر إلى الكون نظرة تقييمية، إذ إن كل الأشياء فى الكون مخلوقة لعبادة رب واحد، يرزق بعضها بواسطة بعض، وهو الذى يسير الدورة الرائعة بين الموت والحياة. قال تعالى : ﴿ إن الله فالق الحب والنّوى يُخْرِج الحى من الميِّت ومُخْرِجُ الميِّت من الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون * فالق الإصباح وجعل الليل سكناَ والشمس والقمر حُسبانا ذلك تقدير العزيز العليم * وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون * وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع[1] قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون * وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل[2] شيء ﴾ (سورة الأنعام: ٩٥ ـ ٩٩).

فالمقصود من خلق كل المخلوقات، هو عبادة رب العالمين، عن طريق أدائها الوظائف المقدرة لها، من نفع بعضها بعضا، مما يؤدى إلى تكافل كونى شامل، ومن ثم فمصلحة الخلق كافة، أصل يمتد فى تنسيق الكون، كما أنه لازم مهم لتوحيد

(١) المستقرّ : ما كان على ظهر الأرض. والمستودع : ما كان فى باطن الأرض. وقيل المستقرّ ما كان فى الرحم، والمستودع ما كان فى الصلب.
(٢) كل صنف من أصناف النبات المختلفة.

العبودية، لأن عبادة رب العالمين، إنما تتحقق بأداء الأعمال الصالحة، التى من شأنها تحقيق مصالح الخلق أجمعين.

المحافظة على الموارد الطبيعية

(أ) إن جميع موارد الحياة قد خلقها الله تعالى لنا أمانة فى أيدينا، ولقد قدر الله تعالى الرزق فى الأرض للناس كلهم وللمخلوقات جميعا، ويقول تعالى: ﴿وجَعل فيها رواسيَ من فوقها وبارك فيها وقدرّ فيها أقواتها فى أربعة أيام سواءً للسائلين﴾ (سورة فصلت: ١٠).

ومن ثم فإن الانتفاع بها يعتبر فى الإسلام حقا لجميع الناس ولكل نوع من أنواع المخلوقات، لذلك يجب أن يراعى فى التصرف فيها مصلحة الناس الذين لهم فيها شركة وعلاقة، كما ينبغى ألا ينظر إلى هذا الانتفاع على أنه منحصر فى جيل معين دون غيره من الأجيال، بل هو انتفاع مشترك بينها جميعا، ينتفع بها كل جيل بحسب حاجته دون إخلال بمصالح الأجيال القادمة، كأن يسىء جيل استثمارها أو يشوهها أو يفسدها، وذلك باعتبار أن كل جيل لا يملك سوى حق الانتفاع دون التملك المطلق.

(ب) إن حق الاستثمار والانتفاع والتسخير الذى شرعه الله للإنسان يقابله بالضرورة واجب يقتضى المحافظة على كل الموارد الطبيعية كما وكيفا، فلقد خلق الله جميع أسباب الحياة للإنسان ومواردها لتحقيق العديد من الأهداف، كالتفكر والعبادة، والسكن والتعمير، والانتفاع والاستثمار الحافظ، والمتعة وتذوق الجمال، فلا يجوز للإنسان إفساد البيئة بإخراجها عن طبيعتها الملائمة لحياة الإنسان وقراره فيها، كما لا يجوز استثمار تلك الموارد أو الانتفاع بها بشكل غير رشيد يفسد أقواتها ومواردها، أو يعرضها للفساد والتشويه.

حماية البيئة وعمارتها

كما تقوم نظرة الإسلام للبيئة وموارد الحياة وأسبابها على الحماية ومنع الإفساد، فإنها تقوم أيضا على البناء والعمارة والتنمية. وهذا التداخل بين المحافظة على

المـوارد الطبيعيـة وتعمـيرها يتجلى فى فكرة إحياء الأرض المـوات و
بالزراعة والغراس والبناء . قال تعالى : ﴿هو أنشأكم من الأرض واس
فيها﴾ (سورة هود: ٦١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم يغرس غرسا أو يز
فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة »[١]. كما قال صلى
وسلم : « إن من غرس غرسا لم يأكل منه آدمى ولا خلق من خلق الله عز
كان له به صدقة»[٢]. وقال صلى الله عليه وسلم : « إن قامت على أحدك
وفى يده فسيلة فليغرسها »[٣].

وموقف الإسلام من استثمار موارد الأرض وتعميرها عبر عنه الخليفة
أبى طالب رضى الله عنه فى قوله لرجل قد أحيا خربة : «كل هنيئا وأنت
غير مفسد، معمر غير مخرب »[٤].

ومن معالم هذا الموقف الإيجابى أن تتخذ الوسائل المختلفة لتحسين
الحياة الصحية والغذائية والنفسية بما يسهم فى المحافظة على الإنسان ورخ
يؤمن ظروف حياة أفضل للأجيال القادمة .

ومما جاء فى الأحاديث المذكورة آنفا ، يعلم أن الغاية فى الإسلام من ا
على البيئة وعمارتها أيضا هى تحقيق مصلحة خلق الله كافة .

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الحرث والمزارعة باب فضل الزرع والغرس ٢٣٢٠ . ورواه مسلم
البيوع باب فضل الغرس والزرع ٣٧٦٩ عن أنس.

(٢) رواه الإمام أحمد فى المسند ٢٧٥٧٦ ، والطبرانى فى الكبير ، ورجال إسناده موثقون .

(٣) حديث صحيح رواه البخارى فى الأدب المفرد، والإمام أحمد فى المسند رقم ١٢٩٠١ ،
داود الطيالسى فى مسنده .

(٤) أثر رواه يحيى بن آدم القرشى فى (كتاب الخراج) رقم ١٩٦ عن سعيد الفبّى .

الباب الثانى

حماية العناصر الطبيعية والمحافظة عليها

الصباح والمساء

يتأمل الإنسان فى هذا الكون وحركته الدائبة، ويتأمل في قدوم الفجر، وانتشار الضوء، والحركة والحياة فى الصباح، واستمرار العمل فى الضحى والفترة الصباحية، ثم تأتى فترة القيلولة والاستراحة القصيرة، ثم حركة آخر النهار وصلاة العصر، وختام النهار، وغروب الشمس.

ويتأمل الإنسان هجوم الظلام، واختفاء الضوء، وامتداد الليل وحركة القمر والنجوم والأفلاك، وقد أهاب القرآن بالناس أن ينظروا إلى آيات الله فى هذا الكون وأن يتأملوا فى حركته الدائبة، ونظامه البديع. قال تعالى: ﴿ أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء ﴾ (الأعراف: ١٨٥).

وقال سبحانه: ﴿ والليل إذ أدبر * والصبح إذا أسفر * إنها لإحدى الكُبَر﴾ (سورة المدثر: ٣٣ ـ ٣٥).

ويقول عز شأنه: ﴿ وسخَّر لكم الفُلك لتجرىَ فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار * وسخر لكم الشمس والقمر دائبَين وسخر لكم الليل والنهار * وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تُحصوها إن الإنسان لظلوم كفار﴾ (سورة إبراهيم: ٣٢ ـ ٣٤).

ويقول تعالى: ﴿ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة مَنْ إلهٌ غير الله يأتيكم بضياء أفلاتسمعون * قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون* ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ (سورة القصص: ٧١ ـ ٧٣).

الرسول صلى الله عليه وسلم والكون

كان النبى صلى الله عليه وسلم يتأمل فى خلق الكون، ويدعو ربه فى الصباح والمساء، وعند شدة الحر، وعند شدة البرد، وعند هطول المطر، وحركة الرياح، وتألق القمر، وتلألؤ النجوم، وعند كل نعمة أو نضوج فاكهة، أو عند الأكل أو الشرب، أو النوم أو لبس الثوب، أو التحرك إلى الجهاد والحرب، أو دخول المسجد، أو دخول الدار، أو دخول بيت الخلاء وقضاء الحاجة. أى أن قلبه وفكره ولبه كان دائم الصلة بالله، يذكر الله فى كل نعمة وحركة، ويرى فى كل حركة من حركات الكون أثرا من آثار القدرة الإلهية.

وقد ورد فى كتب السنة أذكار اليوم والليلة أو دعاء الصباح والمساء، مثل قوله صلى الله عليه وسلم عند الصباح:

١ - أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله لا شريك له، لا إله إلا هو وإليه النشور.

٢ - أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين.

٣ - اللهم إنى أصبحت منك فى نعمة وعافية وستر، فأتم علىّ نعمتك وعافيتك وسترك فى الدنيا والآخرة.

٤ - يا ربى لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

٥ - لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير.

وكان صلى الله عليه وسلم إذا جاء المساء يدعو ربّه فيقول: «أمسينا وأمسى الملك لله» إلى آخر الدعاء السابق. وكان صلى الله عليه وسلم إذا نزل المطر يمسح به وجهه ويديه ويقول: «هذا ماء حديث عهد بربه». وإذا أكل فاكهة يقول: «اللهم اجعلها نعمة دائمة توصّلنا بها إلى نعمة الجنة». وكان إذا أكل تذكر الجائعين والمحرومين فيقول: «الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافى له ولا مأوى».

وبذلك يجب على المسلم أن يكون قوى الإحساس بمن معه فى هذا الكون، ومن معه فى وطنه وقريته ومحلته، فيتعاون مع القادرين على مساعدة الفقراء والمحتاجين، ورعاية البيئة ونظافتها، وإتقان ذلك العمل، حتى يصبح نموذجا طيبا للأعمال النافعة المفيدة، قال تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا ﴾ (الكهف : ٣٠).

المؤمن منفعة

المؤمن هو الذى آمن بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. هذا المؤمن عنصر نافع فى هذه الحياة، حريص على سلامة البيئة. والبيئة هى الإطار الذى يعيش فيه الإنسان، ويضم العناصر الثلاثة، الماء والهواء والتربة، وفى هذا الإطار يمارس نشاطيه الاجتماعى والإنتاجى. وحيث إن البيئة هى إطار الحياة، ومصدر الثروة والإنتاج، فإن الحفاظ على نظمها، والترشيد فى استخدام مواردها، يساعدان على العطاء والإنتاج.

وسنحاول أن نقدم فكرة عن العناصر الطبيعية الأساسية فى هذا الكون مثل السماء، والماء، والأرض والتربة، والجبال، والزرع، والحيوان، وما يتصل بذلك، والله ولى التوفيق.

١ ـ السماء

رفع الله السماء، وزينها بالنجوم والكواكب، وجعلها آية من آيات الإبداع والقدرة الإلهية قال تعالى : ﴿ **وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون**﴾ (الأنبياء: ٣٢).

وقد تحدث القرآن فى آيات كثيرة عن السماء، وما فيها من ملائكة وبروج، وكواكب وأقمار ومجرات، وهذه الكائنات تسبح فى الفضاء، خاضعة لنظام كامل دقيق.

قال تعالى : ﴿ **فلا أقسم بمواقع النجوم * وإنه لقسم لو تعلمون عظيم** ﴾ (سورة الواقعة: ٧٥، ٧٦).

كما لفت القرآن أنظار الناس إلى جمال السماء واتساعها ومرور بلايين السنين على خلقها، ولم يحدث بها تشقق أو عيوب، مع أننا فى حياتنا نبنى سقفا محدودا لمنزل أو مؤسسة، فنباهى بما عملنا، وننسى هذا السقف الممتد البديع المتكامل.

قال تعالى : ﴿ **الذى خلق سبع سموات طباقا مًا ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور * ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير * ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين...**﴾ (سورة تبارك: ٣ ـ ٥).

والنجوم فى السماء لها ثلاث فوائد هى :

١ ـ هداية السائرين فى البر والبحر والجو، قال تعالى : ﴿**وعلامات وبالنجم هم يهتدون**﴾ (النحل: ١٦).

٢ ـ زينة للسماء كما تزين البيوت بالثريا والكهرباء، قال تعالى : ﴿ **إنَّا زيَّنَّا**

السماء الدنيا بزينةٍ الكواكبِ * وحِفظا من كل شيطان مارد﴾ (،
٦، ٧).

٣ ـ هذه النجوم تسبح فى الفضاء بنظام دقيق، وتقدير من خ
اصطدمت ببعضها، فهذا الاصطدام نفسه خاضع لنظام وترتيب، و
النجوم نزول شهب تقتل بعض الجن أو تخبلهم، لتمنعهم من الصع
واستراق السمع، والتنصت على كلام الملائكة وأخبار الغيب،
ترصّ بعضها فوق بعض، وتقف فوق أكتاف بعضها، ويستطيع آخ
بأذنه لأخبار السماء وحديث الملائكة، فلما أرسل الله محمدا صلى
شدّدت الحراسة على السماء، ومنعت الجن من التنصت، ورمين
والقذائف المنفصلة عن النجوم.

قال تعالى فى سورة الجن: ﴿وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئ
وشهبا * وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن
رصدا﴾ (الجنّ: ٨، ٩).

والجن خلق من مخلوقات الله، تحدث عنهم القرآن الكريم، و
لسليمان عليه السلام. والجن منهم الصالح الطائع، ومنهم المتمرد
يتحدث القرآن عنهم بالكثرة التى تحدث بها عن الإنسان، بل تفيد
الله خلق الكون من أجل الإنسان. فقد خلق الله آدم بيده، ونفخ ف
وأسجد له الملائكة، وزوّجه حواء، وجعله خليفة فى الأرض،
الكون، وفضله على كثير من المخلوقات، قال تعالى: ﴿ولقد
وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم
خلقنا تفضيلا﴾ (الإسراء: ٧٠).

من آثار القدرة الإلهية

١ ـ الغلاف الغازى المحيط بالأرض يحميها من ملايين الشه
عليها من الفضاء الخارجى، ويحميها أيضا من الأشعة الكونية، التى
تصل إلى الأرض جميعها، لأبادت الحياة.

٢ ـ وهذا الغلاف الغازى يحفظ الأرض، فى درجة مناسبة من الحرارة، وهو الوسيط الذى يحمل بخار الماء، المتصاعد من البحار والمحيطات، ليتكثف منه مطر، ليسقى الأرض، ويروى النبات والحيوان والإنسان. ولولا هذه الدورة دورة المياه، لتحولت كل المياه الأرضية، إلى ماء عفن آسن فى فترة زمنية قصيرة.

٣ ـ هذا الغلاف الغازى له تركيب دقيق، لو اختل لما أمكن للحياة أن تزدهر وتستمر.

٤ ـ لو كان الأكسجين بنسبة ٥٠ ٪ أو أكثر من الهواء، بدلا من ٢١٪ فإن جميع المواد القابلة للاحتراق فى العالم، تصبح عرضة للاشتعال، لدرجة أن أول شرارة من البرق، تصيب شجرة، لابد أن تلهب الغابة كلها.

٥ ـ ولو كانت نسبة الأوكسجين ١٠٪ لتعذر أن يكون التمدن الإنسانى على ما هو عليه الآن.

٢ ـ المـــاء

المـــاء نعمـة جليلـة، جعلها الله سببا فى حيـاة الأرض والإنسان والحيـ
والكائنات، قـال تعـالى : ﴿ وجعـــلنا من المـــاء كل شىء حى ﴾ (ســ
الأنبـياء : ٣٠).

وقد امتن الله على عباده بهذه النعمة، التى يترتب عليها حياة الأرض و-
الزراعة وحياة الأحياء.

قـال تعـالى : ﴿إن فى خلق السـمـوات والأرض واختـلاف الليل والنه
والفلك التى تجرى فى البـحر بما ينفع الناس ومـا أنزل الله من السـماء من
فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسح
المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعلقون ﴾ (البقرة: ١٦٤).

وهذه الآية تتحدث عن ثمانى نعم جليلة هى :

١ ـ خلق السموات.
٢ ـ خلق الأرض.
٣ ـ اختلاف الليل والنهار.
٤ ـ جريان الفلك فى البحر.
٥ ـ إنزال المطر.
٦ ـ خلق الحيوانات والدواب.
٧ ـ حركة الرياح.
٨ ـ حركة السحاب.

وموضـــع الشـاهــد : نزول المطر، الذى تحيـا بـــه الأرض، ويتسبب فـ
إنبـات النبات.

ويقول عزّ شأنه : ﴿ وترى الأرض هامدةً فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت ور
وأنبتت من كل زوج بهيج ﴾ (الحج : ٥).

ويقول تعالى : ﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه * أنا صببنا الماء صبا * ثم شققنا الأرض شقا * فأنبتنا فيها حبا * وعنبا وقضبا * وزيتونا ونخلا * وحدائق غلبا * وفاكهة وأبا * متاعا لكم ولأنعامكم﴾ (سورة عبس: ٢٤ ـ ٣٢).

ويقول تعالى : ﴿ وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء﴾ (الأنعام: ٩٩).

وبين الله تعالى للإنسان أهمية هذا المورد الأساسى للحياة وتقديره حق قدره: ﴿ أفرأيتم الماء الذى تشربون * أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون * لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون ﴾ (الواقعة: ٦٨ ـ ٧٠).

الماء وسيلة الطهارة

إلى جوار أهمية الماء الحيوية، فإن له وظيفة اجتماعية دينية، هى تطهير البدن والملبس مما يعلق بهما من أوساخ ونجاسات، ليصبح الإنسان طاهرا، مؤهلا للقاء ربه ومناجاته، فى صلاته وعبادته. قال تعالى : ﴿ وثيابك فطهر﴾ (سورة المدثر: ٤).

وقال سبحانه : ﴿وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به﴾ (الأنفال: ١١).

وقال تعالى : ﴿ وأنزلنا من السماء ماء طهورا * لنحيى به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيرا﴾ (الفرقان: ٤٨ ، ٤٩).

المياه العذبة والمالحة والمحيطات

تؤدى المياه وظائف متعددة فى الأنهار العذبة والبحار المالحة والمحيطات، فقد قضت حكمة الله تعالى، أن يجعل ٧٠٪ من الكرة الأرضية، مغطاة بالمياه، فى صورة محيطات وبحار وأنهار وبحيرات، يقول الله تعالى : ﴿ وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار ﴾ (إبراهيم: ٣٢).

وقضت حكمة الله أن تكون هذه البحار والمحيطات هى المسئولة عن تقديم ٧٠٪ من الأوكسجين، اللازم للكائنات الحية، الموجودة على الكرة الأرضية، بينما تقدم النباتات المنزرعة فقط ٣٠٪ من الأوكسجين، اللازم لهذه الكائنات[١].

وإذا تساءلنا عن سر ذلك ؟

فالإجابة أن هذه المصادر المائية، تحتوى على مجموعة رئيسية من الهائمات النباتية، وهى تقوم بأخذ الأملاح المعدنية مثل النترات والفوسفات، وتستخدم ضوء الشمس فى عملية التمثيل الضوئى، حيث تستهلك ثانى أكسيد الكربون، وتنتج الأوكسجين، وتقوم بإنتاج المواد العضوية.

وتقوم الأسماك والقشريات بالتغذية على كثير من هذه الكائنات، وتعتمد الثروة السمكية في هذه المياه، على غنى المياه بالهائمات النباتية والحيوانية، وكلما كانت البحار والمحيطات محتوية على كمية كبيرة من هذه الكائنات، كانت حيوية هذه البحار جيدة، وكلما قلت هذه الكائنات، قلت نسبة الأوكسجين فى الماء . . . وقلت حيوية هذه المياه.

وقد أوضحت الدراسات أن هناك علاقة بين حيوية هذه المياه، ومحتواها من الكائنات الحية، النباتية والحيوانية، وكذا محتواها من الأسماك.

البحر المتوسط

يعتبر البحر المتوسط نموذجا لمياه البحر الشديدة التلوث، فهو عبارة عن شبه بحيرة مغلقة يتجدد ماؤها كل مائة سنة، وهو يعتبر من البحار الضحلة. وللأسف فإن ٨٥٪ من المجارى، لما يقرب من ١٢٠ مدينة ساحلية، تتبع ١٨ دولة تصب فى هذا البحر، دون معالجة كافية بالإضافة إلى نفايات ١٠٠ مليون سائح.

وترتب على ذلك تلوث مياه البحر المتوسط، وتسمم الكائنات الموجودة فى هذا البحر، من هائمات نباتية وحيوانية، حيث إن التمثيل البيلوجى قد انخفض إلى أقل

---

(١) المنهج الإسلامى لعلاج تلوث البيئة ص ٩٦، تأليف د. أحمد عبد الوهاب عبد الجواد . أستاذ علم تلوث البيئة جامعة الزقازيق مصر ـ نشر الدار العربية للنشر والتوزيع.

حد ممكن، وأصبحت الكائنات غير قادرة على المعيشة، لقلة الأوكسجين الذائب، ثم إن ٨٠٪ من مياه الصرف الناتجة عن الزراعة، تصب فى هذا البحر.

وقد نشأ عن هذا ظهور عديد من الأمراض الخطيرة، لمستعملى هذا البحر، مثل الالتهابات الجلدية والكوليرا والتيفود، ولقد قدر العلماء أننا نحتاج إلى ٥٠ عاما من اليوم، وبشرط عدم إلقاء أى مواد عضوية أخرى فى البحر، لكى يعود البحر مرة ثانية سالما معافى. ولقد انخفض معدل الصيد فى هذا البحر إلى ٧٠٪، كما أوضحت الدراسات أن الأسماك التى تخرج من هذا البحر تحتوى على كميات من الملوثات، فى صورة مواد سامة[١].

روح الدين والتلوث

لقد أمر الله تعالى بعمارة الأرض، واستخلفنا لإصلاحها، ونهى القرآن عن الفساد، فقال تعالى: ﴿ ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها ﴾ (الأعراف: ٥٦).

إن هذه البحار والمحيطات والأنهار، قد سخرها الله للإنسان، ليستفيد بما فيها من أسماك وحلية ومنافع، قال تعالى: ﴿ وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفُلْك مواخرَ فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ (سوَرة النحل: ١٤).

والمحافظة على مياه البحار والأنهار والمحيطات، هى فى الحقيقة حفاظ على الإنسان، فإن المصادر المائية فى هذا الكون تقوم بإنتاج ٧٠٪ من الأوكسجين اللازم للحياة، وما تخرجه من داخلها من طعام يجب المحافظة عليه، دون إضرار بالكائنات الموجودة، لأن أى إضرار بالبيئة البحرية هو فى الحقيقة إضرار بالإنسان، وبالمحيط الحيوى.

إن الله تعالى يقول: ﴿ أُحلَّ لكم صيدُ البحر وطعامُه متاعا لكم وللسَّيارة ﴾ (المائدة: ٩٦).

---

(١) المنهج الإسلامى لعلاج تلوث البيئة ص ٩٨ ـ د. أحمد عبد الوهاب عبد الجواد. (باختصار وتلخيص).

ومن واجبنا المحافظة على هذه البيئة البحرية صالحة، لأداء النعم الإلهية التى أوجدها الله فيها، وأن ننشر الوعى البيئى لحماية هذه البيئة، بل وسنّ القوانين اللازمة لعقوبة من يتسبب فى تلويث البيئة، فمن قواعد أصول الفقه: « ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب».

فالمحافظة على سلامة البيئة المائية واجب، ولن يتم ذلك إلا بتشريعات تحمى المياه من إفسادها، وهذا الإفساد حرام، ومن قواعدنا الفقهية : « ما أدى إلى الحرام فهو حرام». . وكذلك من أصول ديننا هذه القواعد : (درء المفاسد مقدم على جلب المصالح)، (لا ضرر ولا ضرار)، (الضرر يزال)، (يتحمل الضرر الأصغر فى سبيل دفع الضرر الأكبر).

الماء لنا وللأجيال القادمة

إن الكون كله أصبح قرية كبيرة يتأثر بعضه ببعض، والإضرار بمياه هذه البحار والأنهار والمحيطات هو فى الحقيقة إضرار بالأجيال القادمة، بمعنى أن زيادة الملوثات فى هذه المياه يؤدى إلى موت الحياة الموجودة فى مياهها، وكذا نقص كمية الأوكسجين، وبالتالى موت الكائنات الحية، وهذا حرام طبقا للقاعدة السابقة : «ما أدى إلى الحرام فهو حرام ».

إن حق الانتفاع بهذه المياه مكفول للجميع، بلا احتكار ولا غصب ولا إفساد، ولا تعطيل ولا إسراف، قال تعالى فى ناقة ثمود : ﴿ ونبِّئهم أن الماء قسمة بينهم ﴾ (سورة القمر : ٢٨).

ولأهمية الماء فى استمرار الحياة كلها جعله الله حقا شائعا بين بنى آدم وكل المخلوقات، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الناس شركاء فى ثلاث: الماء والكلأ والنار » رواه أبو داود (باب في منع الماء ــ حديث رقم ٣٤٧٧) ورواه ابن ماجه أيضا.

الإسراف فى استعمال الماء

كان صلى الله عليه وسلم يتوضأ بالصاع، ويغتسل بالمد، والمد رطلان، أى أنه كان يقتصد فى استخدام الماء. وبعض الناس ربما أسرف فى استخدام الماء فى

الوضوء والاغتسال، فربما اغتسل بعشرة أرطال ماء، أو بعشرين رطلا أو أكثر، أى أنه يستخدم فى الاغتسال أكثر من عشرة أمثال المياه التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يستخدمها، ولنا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة والأسوة العملية. وقد نُهينا عن الإسراف فى الماء، وعن الإسراف فى شئون الحياة.

قال تعالى: ﴿ ولا تبذر تبذيرا * إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا﴾ (سورة الإسراء: ٢٦، ٢٧).

وقد روى الإمام أحمد فى مسنده « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بسعد وهو يتوضأ فقال: ما هذا السرف يا سعد؟ قال: أفى الوضوء سرف؟ قال: نعم وإن كنت على نهر جار» [1].

وقد عنى فقهاء المسلمين عبر القرون بأحكام المياه، وتوزيع حصص الاستفادة من هذا المورد، فى الأراضى القاحلة، حتى صارت هذه الأحكام مثالا جليلا يستحق الاحتذاء به فى الاستغلال الحافظ للموارد النادرة، وهو مثال له أهمية متنامية فى عالم اليوم، الذى يشهد ضمورا متعاظما فى الموارد التى كانت وافرة يوما ما.

وأذكر أن أول درس فى كتب العبادات هو درس المياه، حيث يقول: المياه التى يجوز التطهير بها سبعة مياه، ماء السماء، وماء العين، وماء البئر، وماء النهر، وماء البحر، وماء الثلج، وماء البرد.

لقد كانت المياه شحيحة فيما سبق، والآن يسَّر الله لنا المياه، وأصبح الإنسان يفتح صنبور المياه، فيتوضأ أو يغتسل، ومن الواجب المحافظة على الماء فى جميع جهاته: فى العيون والآبار والأنهار والبحار والأفلاج والبحيرات والمحيطات، وأن نكون أداة إصلاح لا إفساد.

قال تعالى: ﴿ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾ (سورة القصص: ٧٧).

---

(١) رقم الحديث فى المسند ٧٠٨٦ وقد رواه ابن ماجه أيضا حديث رقم ٤٢٥ عن عبد الله بن عمرو بإسناد ضعيف، لكن تعدد روايات الحديث يقوّى بعضها بعضا.

مـاء المطـر

قال تعـالى: ﴿ ألم تر أن الله يُزْجى سـحـابا ثم يؤلف بينه ثـم يجـعله ركامـاً فترى الودق يخرج من خلاله وينزِّل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء،ويَصرفه عـمَّن يشاء يكاد سنا برقه يَذهب بالأبصار * يقلّب الله الليل والنهار إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار﴾ (سورة النور: ٤٣ ـ ٤٤).

وجاء فى زبدة التفسير من فتح القدير للإمام الشوكانى ما يأتى : ﴿ ألم تر أن الله يزجى سحابا﴾، يسوق السحاب سوقا رفيقا إلى حيث يشاء ﴿ ثم يؤلف بينه﴾ أى بين أجزائه، فيضم بعضه إلى بعض، ويجمعه بعد تفرقه ليقوى، ويتصل ويكثّف، ﴿ثم يجعله ركـاما ﴾ أى متراكما يركب بعضه فوق بعض، ﴿ فتـرى الودْق﴾ الودْق : المطر ﴿من خلاله﴾ أى من خلال السحاب، ﴿وينزِّل من السماء﴾ أى من جهة العلو، ﴿من جبال﴾ من قطع عظام تشبه الجبال، ﴿فيها من برد﴾ أى ينزل من تلك القطع العظام بردا. وقال الأخفش (من) زائدة فى الموضعين أى ينزل من السماء بردا يكون كالجبال ﴿ فيصيب به ﴾ بما ينزل من البرد ﴿من يشاء﴾ أن يصيبه من عباده ﴿ ويصرفـه عن مَّن يشاء﴾ منهـم ﴿ يكاد سنا برقه يذْهب بالأبصار﴾ أى يكاد ضـوء البرق الذى فى السحـاب من شـدة بريقـه، وزيـادة لمعانـه، أن يخطف أبصارهم.

دورة المطـر

يثير الإشعاع الحرارى للشمس تبخر الماء فى المحيطات، وكل السطوح الأرضية المغطاة أو المشبعة بالماء، يتصاعد منها بخار الماء بهذا الشكل نحو الجو، ويشكل سحبا عن طريق تكاثفه، عندئذ تدخل الرياح لتؤدى دورها فى نقل السحب بعد تشكلها إلى مسافات متنوعة، وقد تختفى السحب دون أن تعطى مطرا، كما يمكن أن تلتقى كتل السحاب مع كتل أخرى لتعطى بذلك سحبا ذات كثافة كبرى، وقد تتجزأ لتعطى مطرا فى مرحلة من تطورها، وسرعان ما تتم الدورة بوصول المطر إلى البحار(التى تشكل ٧٠٪ من سطوح الكرة الأرضية). أما المطر الذى يصل إلى الأرض فقد يمتص جزئيا بواسطة النباتات مساهما بذلك فى نموها، وهذه بدورها

تقوم من خلال ترشحها بإعطاء جزء من الماء إلى الجو، أما الجزء الآخر فإنه يتسلل بمقدار، قد يقل أو يكثر، إلى التربة ليتجه نحو المحيطات عبر مجارى الماء، أو قد يتسرب فى التربة ليعود نحو الشبكة السطحية، عن طريق الينابيع أو الأماكن الأخرى التى يخرج منها الماء إلى السطح. ولنقارن معطيات علم الهيدرولوچيا الحديث بتلك التى نجدها فى كثير من الآيات القرآنية المذكورة فى هذه الفقرة، فسنلاحظ وجود توافق رائع بين الاثنين[١].

(١) موريس بوكاى : دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة، الترجمة العربية طبعة دار المعارف بالقاهرة ص ٢٠٣ .

٣ـ الأرض والتربة

بين الإنسان والأرض حنين وولاء فهذه الأرض أم رءوم، خلقنا منها، ونأكل من خيراتها وأرزاقها، وندفن بين أحضانها، وقد ورد في هدى النبوة: «إنها أمكم الأرض»، وقال تعالى: ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ (طه ٥٥).

هيأ الله الأرض لمنفعة الإنسان، فالمطر ينزل عليها، ويضع الزارع فيها الحب، فينمو النبات، والثمار والنخيل والأعناب، وتكون المحصولات والثمار، قال تعالى: ﴿والأرض وضعها للأنام * فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام[١] * والحب ذو العصف[٢] والريحان * فبأى آلاء[٣] ربكما تكذبان﴾ (سورة الرحمن: ١٠ ـ ١٣).

ومن معادن الأرض خلقت العناصر الصلبة التى تحتوى عليها أجسادنا، وأجسام الأحياء من حيوان ونبات قال تعالى: « فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون * وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تُظهرون * يُخرج الحىّ من الميت ويخرج الميت من الحىّ ويُحيى الأرض بعد موتها وكذلك تُخرَجون * ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾ (سورة الروم: ١٧ ـ ٢٠).

---

(١) الطّلع المتكمم فى كمامة. (٢) الورق والتبن.

(٣) بأى نعم ربكما يا معشر الجن والإنس تكذبان. وقد تكررت هذه الآية، وصارت فاصلة بين كل نعمتين لينبههم القرآن على النعم ويقررهم بها، والتكرير حسن فى مثل هذا.

وكان نبى الله نوح عليه السلام، يقدم لقومه أدلة عملية أمامهم على عظمة الخالق، فلفت أنظارهم إلى الكون، والسماء والشمس والقمر، ولفت أنظارهم إلى الأرض التى خلقهم الله منها، ثم يعيدهم إليها، ثم يبعثهم للحساب من بين جنباتها، وقد جعل الله الأرض مكانا للعيش والرزق، ويسر لها الاتساع والامتداد، وسبل الحياة بالزراعة والتجارة والصناعة قال تعالى: ﴿ **والله أنبتكم من الأرض نباتا * ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا * والله جعل لكم الأرض بساطا * لتسلكوا منها سبلا فجاجا** ﴾ (سورة نوح: ١٧ - ٢٠).

وقال تعالى: ﴿ **والأرضَ مددنها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شىء موزون * وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين * وإن من شىء إلا عندنا خزائنه وما ننزِّله إلا بقدَر معلوم * وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين** ﴾ (سورة الحجر: ١٩ - ٢٢).

وتفيد الآيات السابقة، قدرة القدير سبحانه وتعالى، فهو سبحانه بسط الأرض، وثبتها بالجبال، وأنبت فيها صنوف النباتات، جميلة الشكل، متناسقة الهيئة، وإذا نظرت إلى شجرة البرتقال أو اليوسفى كأنما هى ميزان متكامل، كل ناحية تعادل الناحية المقابلة لها.

وفى الأرض معايش للإنسان، بالزراعة و التجارة والصناعة، وسائر الحرف، بل وفيها أرزاق للحيونات والطيور والأسماك، التى يستفيد الإنسان بها، وهو لم يرزقها ولم يطعمها، فالسمك فى الماء، والطير فى الهواء، وصيد البر والبحر، يستفيد منه الإنسان، ولم يقدم له طعاما ولا رزقا.

وماء المطر ينزله الله لنا فنستفيد به، ونحن لم نخزنه فى خزائننا، بل نزل من خزائن الله رب العالمين، قال تعالى: ﴿ **وآيةٌ لهم الأرض الميْتة أحييناها وأخرجنا منها حَبا فمنه يأكلون * وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون * ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون** ﴾ (سورة يس: ٣٣ - ٣٥).

المحافظة على النعمة

هذه الأرض وعاء لنعم الله المتعددة على الإنسان، بل هى مائدة الله فى هذه الدنيا، يأكل منها الإنسان والحيوان والطير، وفيها صنوف الأرزاق، ومن واجبنا المحافظة عليها سليمة نافعة مفيدة.

ومن أبواب شكر المنعم المحافظة على هذه النعم، كخصوبة التربة وألا نعرضها بتصرفاتنا لعوامل التعرية من رياح وسيول، وفى حالات البناء والحرث والرعى والاحتطاب والتعدين علينا أن نتبع أساليب لا تؤدى إلى تدهورها، بل نتبع من الأساليب ما يساعد على خصوبتها وتحسينها، فإن التسبب فى إفساد هذه النعمة العظيمة التى يعتمد عليها كثير من ضروب الحياة هو كفر بنعم الله تعالى، وحيث إن التصرف المؤدى إلى إتلاف التربة أو إفسادها يؤدى بالضرورة إلى إتلاف الحياة وإفسادها فهو بالضرورة يندرج تحت التحريم، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « جعلت لى الأرض كلها مسجدا وطهورا . . . » الحديث[١]، ومن ثم فإن علينا أن نعاملها بالاحترام الذى تستحقه المساجد، وأن نحافظ على بقائها طاهرة غير مدنسة[٢].

نموذج من التفسير

قال تعالى: ﴿ والأرضَ مددنها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شىء موزون ﴾ (سورة الحجر: ١٩).

التفسير: إن يد القدره المبدعة التى زينت السماء وحفظتها، قد بسطت الأرض وحفظت توازنها بالجبال الراسيات الثوابت، وأرسلت الماء إلى الأرض فنمت حياة الأرض بالنبات الموزون بميزان الحكمة بلا زيادة ولا نقصان. « أو بمعنى

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الصلاة (باب) جعلت لى الأرض مسجدا وطهورا ٤٣٨، ومسلم كتاب المساجد، والترمذى فى باب ما جاء أن الأرض كلها مسجد .

(٢) حماية البيئة فى الإسلام ، الاتحاد العالمى للصون ص ١١ ، مطبعة الهيئة الملكية للجبيل وينبع ، مدينة ينبع الصناعية ـ السعودية .

مستحسن متناسب من قولهم كلام موزون. وقد ذكر الشريف الرضى[1] أن العرب استعملته بهذا المعنى كقول عمر بن أبى ربيعة:

وحديـــث الــذه هـــو مما   تشتهيه النفوس يوزن وزنا [2]

إن كل نبات قد وزنت عناصره، وقدرت تقديرا، فترى العنصر الواحد يختلف فى نبات عنه فى آخر، بواسطة امتصاص الغذاء من العروق الضاربة فى الأرض، ومنها يرفع إلى الساق والأغصان والأوراق والأزاهير..

وهناك عنصر البوتاس تراه يدخل فى حب الذرة الذى نأكله بمقدار ٣٢٪، وفى القصب ٣, ٣٤٪، وفى البرسيم بمقدار ٦, ٣٤٪، وفى البطاطس بمقدار ٥, ٦١٪، وبهذا التفاوت صلح القصب لأن يكون سكرا، والبرسيم لأن يكون قوتا للبهائم، والذرة والبطاطس لأن تكونا قوتا للإنسان[3] ».

فسبحانك اللهم أبدعت نظام الكون، وجعلت كل شيء فى الحياة موزونا بقدر معلوم لتتدبر نظم الحياة، ونعرف قدرة المنشئ الذى لم يخلق شيئا جزافا، بل أبدع ودبر، وخلق كل شيء فقدره تقديرا.

---

(١) انظر آمال المرتضى (ج١ ص١٤ طبعة الحلبى).
(٢) تفسير القاسمى ١٠ـ ٣٧٥٢.
(٣) تفسير المراغى ١٤ـ ١٥ بتصرف.

٤ ـ الجبال

للجبال منافع متعددة، فهى أوتاد تمسك بالأرض، وتحفظها من الزلازل والبراكين، وهى فى نفس الوقت مستودع لمياه الأمطار، ومخزن للماء الفرات.

وفى سوريا نجد جبلا يسمى جبل الشيخ، لأن الثلج يظل فوق الجبل أبيض كالعمامة البيضاء طوال العام، فإذا جاء الصيف القائظ، نزلت المياه من هذا الثلج، لتروى الأودية، والإنسان والحيوان، وتحافظ على التربة، وتساعد فى تلطيف الجو.

جاء فى كتاب تفسير الآيات الكونية ما يأتى:

لقد حفظ الله توازن الأرض بالجبال الراسية المستقرة، ولهذه الجبال أياد بيضاء فى حفظ ماء الشتاء للصيف، «وهى سبب الرطوبة الدائمة على وجه الأرض، ومن هذا التدبير عمارة الكون ووجود النبات والحيوان فيه» [1].

وقد سرد الجاحظ منافع الجبال فى أن الثلج يسقط عليها فيبقى فى قللها لمن يحتاج فى القيظ إليه، ويذوب ما ذاب منه فتجرى منه العيون الغزيرة التى تتجمع منها الأنهار العظام، وينبت منها ضروب من النبات والعقاقير التى لا ينبت منها فى السهل، ويكون فيها الكهوف ومعاقل للوحوش من السباع والعادية، وتتخذ فيها القلاع والحصون المنيعة لتتحرز من العدو، وينحت منها الحجارة للبناء . . . ويوجد فيها معادن لضروب من الجواهر، وعسى أن يكون فيها خلال أخرى لا يعرفها إلا المقدر لها فى سابق علمه المحيط. ثم يقول الجاحظ:

---

(١) من إشارات العلوم فى القرآن الكريم للأستاذ عبد العزيز سيد الأهل، دار النهضة الحديثة ببيروت ص٩٠ نقلا عن مسكويه .

« إن المطر جعل ينحدر على السهل من الجبال ليغشى ما غلظ منها وارتفع فيرويه، ولو كان إنما يأتيها من نواحيها لما علا المواضع المشرفة منها، ولقل ما يزرع من الأرض [1]» .

وقد ربط القرآن الكريم بين رسو الجبال وكونها أوتادا، وبين الأبخرة والسحب ومجارى الأنهار، وانبثاق الينابيع، وإدرار القوت والرزق، وضمان المنافع. ومن عجيب الإعجاز أن هذه الحقائق قد ذكرت على لسان نبى أمى، وقد قرن القرآن الكريم بين الجبال والمياه، فإذا لم تذكر الأنهار مع الجبال ذكر ما يكون من آثارها من الخصب والنماء والقوت والرزق والمتاع. قال تعالى:

﴿والجبالَ أرساها * متاعا لكم ولأنعامكم﴾ (النازعات: ٣٢، ٣٣).

وقال سبحانه: ﴿وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهارا﴾ (الرعد: ٣).

﴿والأرضَ مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شىء موزون﴾ (الحجر: ١٩).

﴿وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون * وجعلنا فى الأرض رواسى أن تميد بهم﴾ (الأنبياء: ٣٠، ٣١).

﴿أم مَّن جعل الأرض قرارا،وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى﴾ (النمل: ٦١).

﴿وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة﴾ (لقمان: ١٠).

﴿وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدَّر فيها أقواتها﴾ (فصلت: ١٠).

﴿ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج﴾ (ق: ٧).

---

(١) المرجع السابق.

﴿وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فُراتا﴾ (المرسلات: ٢٧).

والجبال مظهر من مظاهر القدرة وآية النعمة، وهى تسبح بحمد الله، وتدل على قدرته وحكمته، قال تعالى:

﴿ولقدآتينا داود منا فضلا يا جبالُ أوِّبِي معه والطيرَوألنَّا له الحديد﴾ (سورة سبأ: ١٠).

وقد هبط الوحى على النبى فى غار حراء على ربوة جبل مرتفع. وتمت الهجرة من خلال غار ثور على ربوة جبل شاهق. والطور وجبل الجليل وأبو قبيس، هتفت على روابيها أصوات الرسالات. ولأمر ما أهبط آدم على ربوة، وعرضت الأمانة على الجبال، وأرسيت سفينة نوح على الجودى، وقطعت على الجبال طير إبراهيم، وسخرت الجبال لداود يسبحن، ونتق الجبل لموسى، وكان مأوى أهل الكهف فى الرقيم. ولأمر ما كان نسك المسلمين فى الحج حول الجبال، فهم يسعون بين الصفا والمروة، ويجتمعون يوم عرفة فى الوقوف على جبل عرفات. ولعل الجبال أبعد عن صخب الحياة، وأعون على الهدوء والخشوع والإخبات والإنابة، وأدعى إلى التأمل والصفاء وخلو الإنسان إلى نفسه، وسماعه لصوت الضمير، وحنينه للتأمل الهادئ، والذكر والتفكر، فهى محضن من محاضن طهارة الأرواح، ودار للعبادة والصفاء.[1]

تحرك الجبال

من المشاهد الجميلة، ما شاهدته فى سلطنة عمان، حيث افتتحت جامعة السلطان قابوس فى سنة ١٩٨٦م، بطائفة من الكليات العملية والنظرية، ثم ضاقت الجامعة بطلابها، واقتضت المصلحة العامة افتتاح كليات جديدة، بجوار الكليات القديمة.

وكانت الجبال تفصل بين الكليات، واستمرّت همم الرجال وعزيمتهم حتى نقلت الجبال، وأزيل التراب ثم أصلحت التربة، وتحول مكان الجبال إلى بساتين

---

(١) تفسير الآيات الكونية د. عبد الله شحاتة ـ دار الاعتصام ـ القاهرة.

خضراء، وأشجار وحدائق تجرى بينها الأنهار، وتزينها نوافير المياه، وأنشئت كليات جديدة، ومؤسسات تعليمية فى مكان الجبال الراسية.

ولقد كانت الأتربة تنبعث من الجبال إلى بيتى داخل الجامعة، والآن يجاور بيتى حدائق دائمة الخضرة، وبساتين وعيون المياه، التى يسعد بها الناظرون إليها، ويقارنون بين الماضى والحاضر، متأملين كيف نقلت الجبال الموحشة، ووضعت مكانها المبانى العامرة، والمؤسسات النافعة، والبساتين النضرة، وكان فى هذا جمال للبيئة وتخطيط سليم جيد، وتعمير للأرض، وتيسير لإنبات النبات، وتوسيع رقعة الخضرة، بجوار أماكن للعلم والتعليم.

إن هذا حقا عمل فيه خدمة للبيئة، وخدمة للأجيال القادمة. والله ولى التوفيق.

٥ـ الزراعة

لفت القرآن الكريم أنظار الناس إلى فضل الله عليهم وأنعمه المتعددة، ومنها إنزال المطر، وإحياء الأرض بعد موتها. فهذه الأمطار عندما تلامس الأرض ويغرس فيها النبات، تتفتح عن أنواع مختلفة، من الذرة والقمح والقطن والفول والبطاطس والفلفل والخيار والقثاء والعنب والبطيخ والشمام والكمثرى والبرتقال والشهد وعسل النحل، وأنواع متعددة من الحدائق والبساتين والأشجار التى تمدنا بالأدوية والنبات والفاكهة والظلال.

قال تعالى: ﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه * أنا صببنا الماء صبا * ثم شققنا الأرض شقا[١] * فأنبتنا فيها حبا * وعنبا وقضبا * وزيتونا ونخلا * وحدائق غلبا * وفاكهة وأبّا * متاعا لكم ولأنعامكم﴾ (سورة عبس: ٢٤ ـ ٣٢).

القرآن والزراعة

لفت القرآن أنظارنا إلى بدائع صنع الله فى الكون، ومن ذلك إحياء الأرض بعد موتها، وإنبات الجنات من النخيل الذى يثمر التمر بأنواعه المتعددة طعاما للفقير، وحلوى للغنى، وزادا للمسافر، ونعمة للمقيم، وأنواع الأعناب بألوانه وأصنافه. وقد فجر الله عيون الأرض للسقيا والزراعة والمنظر الجميل، والإنسان لم يبذل جهدا يستحق فى إنزال المطر، وقليل من الجهد فى الزراعة يعطيه عائدا مثمرا، يستفيد منه الإنسان والحيوان وسائر الموجودات.

---

(١) ﴿ثم شققنا الأرض شقا﴾ بالنبات، ﴿حبا﴾ حبّ الزرع، ﴿وعنبا﴾ كروما، ﴿وقضبا﴾ يعنى بها: الرطبة، ﴿وحدائق غلبا﴾ بساتين محوّط عليها، ﴿غلبا﴾ غلاظا يستظل بها، ﴿وفاكهة﴾ من ثمار الأشجار، ﴿وأبّا﴾ ما تأكله البهائم من العشب والنبات.

قال تعالى : ﴿ وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون * وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون * ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون﴾ (سورة يس : ٣٣ـ ٣٥) .

ومن إعجاز الآية إشارتها إلى تصنيع الغذاء بأنواع متعددة مثل التمور المحفوظة ، وأنواع المربى ، فهى من تفسير قوله تعالى : ﴿وما عملته أيديهم أفلا يشكرون﴾ .

وللنحاة هنا إعراب يقول : إن « ما » نافية ويكون المعنى أنهم لم يعملوا بأيديهم إنزال الماء أو إنبات النبات ، بل الله هو الذى أنزل الماء وأنبت النبات .

وقريب من هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ أفرأيتم ما تحرثون * أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون * لو نشاء لجعلناه حُطاما﴾ (الواقعة : ٦٣ ـ ٦٥) .

وهناك إعراب ثان على أن «ما » موصولة فيكون المعنى ليأكلوا من ثمرات الأرض ، ومن حصيلة الجهد الذى عملته أيديهم فى الزراعة والحرث ، وليشكروا الله على إنجاح جهودهم حيث جعلها مثمرة ناجحة .

بهجة المنظر

نجد فى المزارع ، الأزهار والألوان الخضرة اليانعة ، والثمار المنتظمة بحبوبها المتراكبة ، والجنان الفيحاء ، وصنوف الثمار المتشابهة والمتقابلة والمختلفة ، التى تسترعى انتباه المشاهد ، وتحرك فيه حاسة التأمل والنظر إلى بديع صنع الله فى تيسير الماء ، وإنبات النبات ، وإنضاج الثمار ، مما يوحى بقدرة القدير سبحانه وتعالى .

وقد تكرر هذا المعنى فى سورة الأنعام وهى سورة مكية ، نزلت كلها مرة واحدة فى معنى واحد هو لفت الأنظار إلى عظيم القدرة الإلهية ، ومن ذلك قوله تعالى :

﴿وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خَضِرا(١) نخرج منه حبا متراكبا (٢) ومن النخل من طلعها قنوانٌ (٣) دانية (٤) وجنات من أعناب والزيتونَ والرمان مُشْتَبِهًا (٥) وغير متشابِه انظروا إلى ثمره إذا أثمر(٦) وينْعِه(٧) إن فى ذلكمَ لآيات لقوم يؤمنون(٨) ﴾ (سورة الأنعام: ٩٩).

وتعرض الآية (١٤١) من سورة الأنعام صورة لما أنعم الله به علينا من زروع ناضرة، وجنات خضراء محمولة على ما يرفعها عن الأرض، مثل الأخشاب والبوص حتى ترتفع الأشجار عن الأرض، وهناك زروع ملقاة على الأرض، كالعنب الأرضى، والنباتات التى لا تحتاج إلى حامل من الخشب يحملها، كذلك أنعم الله على الإنسان بالزيتون إداما وغذاء ودواء، وبالرمان فاكهة وعلاجا، والثمار متشابهة فى بعض أفرادها، ومختلفة فى بعضها الآخر.

هذه النعم نأكل من ثمارها، ونخرج الزكاة منها يوم الحصاد، وننفق فى غير إسراف، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿وهو الذى أنشأ جنات معروشات (٩) وغير معروشات(١٠) والنخلَ والزرع مختلفا أُكُله (١١) والزيتونَ والرمان متشابها وغير متشابه (١٢) كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده(١٣) ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين(١٤) ﴾. (سورة الأنعام: ١٤١).

---

(١) ﴿خضرا﴾: نبتا أخضر.
(٢) ﴿متراكبا﴾: ركب بعضه على بعض، وهو السنبل.
(٣) ﴿قنوان﴾: أعذاق.
(٤) ﴿دانية﴾ قريبة من المتناول.
(٥) ﴿مشتبها﴾: يشبه بعضه بعضا، قدرا ولونًا وطعما.
(٦) ﴿إذا أثمر﴾: أول ما ينعقد.
(٧) ﴿وينعه﴾: وإلى حال نضجه.
(٨) التأمل فيما ذكر فيه هداية للإيمان بالله العلى القدير.
(٩) مرفوعات على ما يحملها.
(١٠) ملقيات على وجه الأرض.
(١١) ثمر كل واحد مختلف عن الآخر فى الطعم والحجم واللون.
(١٢) يشبه بعض أفراده البعض الآخر قدرا ولونا وطعما حينا، ويختلف عنه ولا يشبهه حينا آخر.
(١٣) عجلوا بإخراج زكاة الزرع، وأخرجوها يوم الحصاد شكرا لله على النعمة، ومساعدة للفقراء الذين يتطلعون إلى هذه الزكاة يوم الحصاد.
(١٤) لا تسرفوا فى الصدقة بل توسطوا واعتدلوا.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ إن الله فالقُ الحب والنوى (١) يخرج الحى من الميت (٢) ومخرج الميت من الحى(٣) ﴾ (سورة الأنعام: ٩٥).

ويقول تعالى: ﴿ والأرضَ وضعها للأنام(٤)* فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام *(٥) والحب(٦) ذو العصف (٧) والريحان (٨) ﴾ (سورة الرحمن: ١٠ ـ ١٢).

ويلفت القرآن الأنظار إلى تنوع التربة، فهذه الأرض سبخة، وتلك أرض صلبة، وهناك أرض خصبة جيدة للزراعة والنبات. وتجد فى أنواع النبات، جنات من العنب بأنواعه المتعددة، وزرعا متعدد الأسماء و الأنواع، كالذرة والقمح والقطن، والتفاح والبرتقال وسائر الفواكهة و الثمار، وأنواع النخيل، فمنها «الصنوان» المجتمع فى عود واحد وأصله واحد، ومنها« غير الصنوان» أى متفرق الأصل ومتعدد الأعواد.

فمن النبات والنخيل ما يقوم على عود واحد وهو الصنوان، ومنها ما يقوم على أعواد متعددةوهو « غير الصنوان»، وواحد الصنوان صنو كما يقال « قنو وقنوان» يقال « صنو وصنوان»، ومن النبات الحلو والحامض والمر قال تعالى:

﴿وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يُسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكُل إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ (سورة الرعد: ٤).

---

(١) يفلق الحب والنوى عن النبات، فترى النبات ناميا من تحت الأرض، كأنه أطفال صغار تنمو كل يوم بيد القدرة الإلهية.

(٢) يخرج النبات النامي، والشجرة المتحركة، من الحبة الجامدة كأنها ميتة، والحيوان من النطفة، والدجاجة من البيضة، والمؤمن من الكافر.

(٣) يخرج النطفة من الحيوان، والبيضة من الدجاجة، والكافر من المؤمن، والليل من النهار، والثمرة من النبات.

(٤) وطأها للخلق.

(٥) ﴿والنخل ذات الأكمام﴾: ذات الليف الذى يكون عليها، وقيل الطلع المتكمم فى كمامة.

(٦) ﴿والحب﴾: حب الشعير والبر.

(٧) ﴿ذو العصف﴾: ذو الورق والتبن. والعصف: الورق من كل شىء.

(٨) ﴿والريحان﴾: الحب الذى يؤكل منه، عنى به: الرزق.

ويقول الله تعالى: ﴿ هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر [1] فيه تسيمون * ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ (سورة النحل: ١٠، ١١).

ويقول تعالى: ﴿ونزّلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحَبَّ الحصيد * [2] والنخلَ باسقات [3] لها طلع نضيد * [4] رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميْتا كذلك الخروج [5] ﴾ (سورة ق: ٩ ـ ١١).

وقال تعالى: ﴿ وأنزلنا من السماء ماء بقدَر فأسكنّاه فى الأرض وإنا على ذَهاب به لقادرون * [6] فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون * وشجرةً تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصِبغٍ للآكلين [7] ﴾ (سورة المؤمنون ١٨ـ٢٠).

وقال سبحانه: ﴿وأنزلنا من المعصرات ماء ثَجّاجا * [8] لنخرج به حَبا ونباتا * وجنات ألفافا [9] ﴾ (سورة النبأ: ١٤ـ١٦).

---

(١) ﴿ومنه شجر﴾ منه أشجاركم وحياة غروسكم ـ ﴿فيه تسيمون﴾: ترعون، يقال أسام فلان إبله يسيمها إسامة إذا أرعاها. ويقال سامت الإبل فهى سائمة إذا رعت هى بنفسها.

(٢) ﴿جنات﴾: بساتين ﴿ وحب الحصيد ﴾: حب الزرع المحصود من القمح والشعير وغيره.

(٣) ﴿باسقات﴾: طوالا.

(٤) ﴿لها طلع نضيد ﴾: الطلع هو أول ما يخرج من ثمرة النخل، والنضيد المتراكب الذى نضد بعضه على بعض.

(٥) ﴿رزقا للعباد﴾: أى أنبتنا هذه الأشياء للرزق، وأحيينا بالماء بلدة مجدبة لا ثمار فيها ولا زرع ﴿كذلك الخروج﴾: أى مثل ذلك الإحياء نخرجكم من قبوركم عند البعث.

(٦) ﴿بقدر ﴾: بتقدير منّا، أى بمقدار يكون به صلاح الزرع والثمار، فإنه لو كثر لكان به هلاك ذلك، ﴿فأسكناه فى الأرض﴾ جعلناه مستقرا فى الأرض، ينتفع به الناس وقت حاجتهم إليه، كالماء الذى يبقى فى الينابيع والمياه الجوفية ومياه الغدير ونحوها، ﴿وإنا على ذهاب به لقادرون﴾ أى كما قدرنا على إنزاله، فنحن قادرون على أن نذهب به بوجه من الوجوه.

(٧) ﴿وشجرة﴾: المراد شجرة الزيتون، وهى أكرم الشجر، وأعمها نفعا، وأكثرها بركة، ﴿تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن﴾: أى تنبت ثمرها وفيه الدهن وهو زيت الزيتون، ﴿وصبغ للآكلين﴾ وهو زيت الزيتون نفسه لأنه يصطبغ به، وكل إدام يؤتدم.

(٨) ﴿وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا﴾: المعصرات السحاب الذى يتحلب بالمطر ولم يمطر بعد ﴿ ماء ثجاجا﴾ منصبا بكثرة يتبع بعضه بعضا.

(٩) لنخرج بالماء حبا يقتات به كالقمح والشعير، ونباتا ترعاه الإبل والدواب. ﴿ وجنات ألفافا ﴾: بساتين ملتفة لتشعب أغصانها.

النبات نعمة ملموسة من نعم الله تعالى، فهو وسيلة للمواد الغذائية، اللازمة للإنسان والحيوان، وله أهمية قصوى فى تخليص البيئة من ثانى أكسيد الكربون، وفى إنتاج الأوكسجين أثناء عملية التمثيل الكلوروفيلى.

وسبحان الله الذى جعل للإنسان كل ما فى الكون، وأطعمه من جوع وآمنه من خوف، وجعل له الأرض مستقرا ومتاعا إلى حين.

وقد أمرنا القرآن بالتأمل فى نعمة النبات والأشجار والظلال، والمحافظة على هذه النعم، والابتعاد عما يفسدها، أو يعطل وظيفتها.

وإذا كان لكل مخلوق سننه وقوانينه، فإن النباتات لها قوانينها حيث تحتاج إلى الأرض الصالحة، والمناخ المناسب، والخدمة المستمرة، بحيث تبقى صالحة لأداء دورها فى الحياة.

قال تعالى: ﴿ **يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون** ﴾ (البقرة: ١٧٢).

وكما قال بعض المفسرين [١]، فإن المقصود بالأكل هو الانتفاع من جميع الوجوه، وسواء كان النفع ماديا أو معنويا، وإن المقصود بالطيب هو الحلال، وقد ربط الله أكل الطيب الحلال بالشكر على النعمة، والشكر، كما قال الشاطبى، هو صرف النعمة فيما خلقت له [٢]، فحيث إن كل شيء خلق لهدف، فإن توجيه الشيء للهدف الذى خلق من أجله يعتبر شكرا لله على هذا الشيء يستحق المثوبة من الله.

وتجدر الإشارة إلى أن أكل الرزق الطيب الحلال، والانتفاع به، وشكر الله على ذلك بالسلوك العملى الذى يحفظ مصدر الرزق، ويزيد من أبعاده لينتفع منه كثير من عباد الله، هذا العمل كله يدخل فى باب عبادة الله، ولذلك ربطه الله بقوله تعالى ﴿ **إن كنتم إياه تعبدون** ﴾.

---

(١) انظر: القرطبى، الجامع لأحكام القرآن جـ ٢، صفحة ٢٠٧.
(٢) انظر: الشاطبى، الموافقات، جزء ٢، صفحة ٢٢٤.

أرأيت كيف يكون سلوك المرء عبادة يتقرب بها إلى الله، إذا ترتب على سلوكه نفع الآخرين من نعم الله، وعدم الحيلولة دون تحقيق هذه الغاية.

حفظ النوع والسلالة

اهتم الإسلام بحفظ النوع والسلالة فى الإنسان والأنعام والأشجار، وجميع المخلوقات الحية، وذلك لأن كل هذه المخلوقات تؤثر فى التوازن البيئى، وتتأثر بأى خلل يحدث فيه. وإبقاء الأنواع والسلالات فيه ضمان لاستمرار هذا التوازن، حتى لا يطغى عنصر على آخر فيحدث خلل فى التوازن البيئى قد يؤدى إلى دمار بقية المخلوقات.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الله سبحانه وتعالى خلق كل مخلوق ليؤدى دورا معينا فى الحياة، فبقاؤه واستمراره إذن أمر ضرورى.

ولهذا وذاك فقد اهتم القرآن الكريم بأمر النوع والسلالة، وكانت بدايه حفظ النوع والسلالة فى قصة الطوفان التى حدثت قبل قرون عدة خلت فى عصر سيدنا نوح عليه السلام حيث أمره الله سبحانه وتعالى أن يصنع الفلك، وأن يحمل معه فيها من كل زوجين اثنين، حفظا للنوع والسلالة.

يقول تعالى: ﴿ حتى إذا جاء أمرنا وفار التَّنُّور قلنا احملْ فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القولُ ﴾ (هود: ٤٠)، ويقول أيضا: ﴿وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون ﴾ (يس: ٤١). ويقول تعالى أيضا: ﴿ فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلَك إلا من سبق عليه القول منهم﴾ (المؤمنون: ٢٧).

ويذكر الله سبحانه وتعالى فى مواضع عدة من القرآن الكريم أنه خلق من كل شىء زوجين ذكرا وأنثى لضمان عملية التناسل والبقاء وحفظ النوع. يقول تعالى: ﴿وأنَّه خلق الزوجين الذكر والأنثى﴾ (النجم: ٤٥). ويقول تعالى: ﴿ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ﴾ (الذاريات: ٤٩).

ويقول سبحانه ﴿فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى﴾ (القيامة: ٢٩). ويقول تعالى: ﴿والذى خلق الأزواج كلها﴾ (الزخرف: ١٢)، ويقول تعالى: ﴿ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين﴾ (الرعد: ٣).

تعبير الرؤيا

اشتملت سورة يوسف على عدد من الرؤى منها رؤيا يوسف المشهورة، ومنها رؤيا رفيقيه فى السجن. وفى الحديث الصحيح: «الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان فإذا رأى أحدكم خيرا فليحمد الله، وإذا رأى شرا فليتفل عن يساره، وليتوضأ وليصلّ ركعتين ويسأل الله أن يصرف عنه السوء فإنها لا تضره» رواه البخارى.

وفى سورة يوسف نجد أن ملك مصر رأى فى منامه سبع بقرات سمان قوية يأكلها سبع بقرات ضعيفة هزيلة، ورأى سبع سنبلات خضراء مورقة، وسبع سنبلات يابسة جافة.

وقد فسر يوسف عليه السلام هذه الرؤيا بأن النيل سيجود بالماء سبع سنوات، ثم يأتى الجفاف، ونقصان ماء النيل سبع سنوات تالية، فعليهم أن يدخروا القمح فى سنابله، والذرة فى كيزانه، حتى لا يتطرق إليه السوس، أو العطب والتلف، وعليهم بالاقتصاد والتدبير فى السنوات السبع الأولى، حتى يستطيعوا التغلب على الجفاف ونقصان الطعام والزراعة فى السنوات السبع اللاحقة. وأفاد يوسف الملك أن سنوات الجفاف سيتبعها عام أخير ينموالزرع والخير ويعصر الناس العنب والسمسم، وتجود الأرض بزراعتها وخيراتها.

ولما خرج يوسف من السجن أصبح وزيرا للزراعة واستطاع بحكمته، وحزمه وعزمه، وحسن تصرفه، أن يجنب مصر المجاعة فى السنوات العجاف، وأن يعبر بها إلى برالأمان.

وينبغى أن يكون هذا التصرف قدوة حسنة لنا، فى التوسط فى النفقة، والعناية بالزراعة، والاعتماد على النفس، وتغليب المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، وحسن التدبير والعمل للمستقبل.

قال تعالى: ﴿ وقال الملك إنى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبعَ سنبلات خضر وأخرَ يابسات يأيها الملأ أفتونى فى رؤياى إن كنتم للرؤيا تَعبُرون* قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين * وقال الذى نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلونِ * يوسف أيها الصديق أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبعَ سنبلات خضر وأخر يابسات لعلى أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون * قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله إلا قليلا مما تأكلون * ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون * ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون ﴾ (يوسف: ٤٣ ـ ٤٩).

البيئة فى السنة النبوية الشريفة

من المسلمات الأساسية فى التشريع الإسلامى أن القرآن الكريم كتاب الله سبحانه وتعالى هو المصدر الأول للتشريع الإسلامى، وقد حوى القرآن الكريم كل شىء يتصل أو يتعلق بحياة الإنسان، يقول الله سبحانه: ﴿ما فرطنا فى الكتاب من شىء﴾ (الأنعام: ٣٨).

وقد وردت الموضوعات فى القرآن مجملة، وقد تكفلت السنة النبوية بتفصيلها وتفسيرها، ولذلك فإن كثيرا من الأمور الدينية لا يمكن فهمها إلا فى ضوء الكتاب والسنة. والسنة هي المصدر الثانى للتشريع الإسلامى، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «إنما بعثت معلما»، ولقد كان يعلم أصحابه رضوان الله عليهم كل صغيرة وكبيرة فيما يتصل بحياتهم وعلاقاتهم العامة، وكانوا لا يجدون حرجا فى أن يسألوه حتى عن أمورهم الخاصة.

وقد تعرضت السنة النبوية بطبيعة الحال لأمر البيئة فى كثير من الأحاديث والمواقف النبوية الشريفة. وبالرغم من أن المشكلات البيئية فى ذلك الوقت لم تكن معقدة بهذه الصورة التى هى عليها الآن، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم قد تطرق فى أحاديثه لكثير من المشكلات البيئية، التى يعانى منها العالم اليوم.

ويمكن حصر الأحاديث النبوية التى تعرضت لقضايا البيئة فى أربع مجموعات .

* المجموعة الأولى:

الأحاديث التى تحث على غرس الأشجار والمحافظة عليها ـ لا سيما الأشجار المثمرة ـ مع ربط الغرس والمحافظة بالأجر .

* المجموعة الثانية:

الأحاديث التى تحث على الحفاظ على الحيوانات وحسن معاملتها ، والتى تنهى عن قتلها لغير منفعة مرجوة .

* المجموعة الثالثة:

الأحاديث التى تحث على الحفاظ على صحة البيئة .

* المجموعة الرابعة:

الأحاديث التى تحث على عدم الإسراف .

غرس الأشجار وحمايتها

إذا كان الله سبحانه وتعالى قد سخر الأشجار للإنسان وجعله المستفيد الأول منها ، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم أراد أن يبين لنا أهمية هذه الأشجار ، ويحثنا على غرسها ورعايتها وحمايتها ، وقد ربط الرسول صلى الله عليه وسلم غرس الأشجار ورعايتها بالأجر ، وجعله صدقة جارية يكتب أجرها للذى يغرسها حيا أو ميتا . وقد حثنا الرسول صلى الله عليه وسلم على غرس الأشجار فى حديث بليغ إذ يقول : «إذا قامت القيامة وفى يد أحدكم فسيلة فليغرسها » . فالإنسان مطالب بغرس الأشجار فى أى وقت من الزمان .

واعتبر الرسول صلى الله صلى الله عليه وسلم غرس الأشجار صدقة جارية إذ يقول : « سبع يجرى للعبد أجرهن وهو فى قبره بعد موته : من علم علما ، أو كرى

نهرا، أو حفر بئرا، أوغرس شجرة، أو بنى مسجدا، أو ورث مصحفا، أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته»[1].

ويقول أيضا: «من بنى بنيانا فى غير ظلم ولا اعتداء، أو غرس غرسا فى غير ظلم أو اعتداء، كان له أجرا جاريا ما انتفع به من خلق الرحمن تبارك وتعالى»[2].

والرسول صلى الله عليه وسلم يجعل من غرس الشجر والزرع أجرا وصدقة للغارس، فله بكل شيء يصاب منه صدقة وأجر، فالذى يأكله الإنسان أو الحيوان أو الطير وما يسرق منه، فله به صدقة، وله فى كل ثمرة صدقة وأجر. يقول صلى الله عليه وسلم: «ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما سرق منه له صدقة، وما أكل السبع منه فهو له صدقة، وماأكلت الطير فهو له صدقة»[3].

ودخل النبى صلى الله عليه وسلم ذات مرة على امرأة أنصارية تدعى أم بشير فى نخل لها، فقال صلى الله عليه وسلم: «من غرس هذا النخل؟ أمسلم أم كافر؟» فقالت: بل مسلم، فقال: «لا يغرس مسلم غرسا ولا يزرع زرعا فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شيء إلا كانت له صدقة»[4].

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «من نصب شجرة فصبر على حفظها والقيام عليها حتى تثمر كان له فى كل شيء يصاب من ثمرها صدقة عند الله عز وجل». . ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى ذات المعنى: «ما من رجل يغرس غرسا إلا كتب الله له من الأجر قدر ما يخرج من ذلك الغرس».

ومن الآثار التى وردت فى حماية الأشجار ما جاء فى وصية سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه ليزيد بن أبى سفيان عندما بعثه على رأس جيش إلى الشام، تلك الوصيه المشهورة والتى احتوت على عشر وصايا، كانت ثلاث

---

(١) الترغيب والترهيب الجزء الخامس.
(٢) الترغيب والترهيب الجزء الخامس.
(٣) الترغيب والترهيب الجزء الخامس.
(٤) صحيح مسلم، الجزء الثالث.

وصايا منها فى أمر حماية الأشجار فى الغزو « ولا تقطعن شجرا مثمرا ولا تحرقن نخلا ولا تغرقنه» [1].

فوائد الأشجار والخضرة

ذكرنا أن الأشجار تحمل لنا الثمار والظلال، وتنظف البيئة، وتحمى التربة وتنقى الهواء، وننقل هنا فقرة من كتاب « المنهج الإسلامى لعلاج تلوث البيئة» .

وكما نعلم .. فإن فوائد الأشجار والخضرة تتلخص فيما يأتى:

١ ـ توفير المواد الغذائية للإنسان والحيوان.

٢ ـ تخليص البيئة من كميات كبيرة من ثانى أكسيد الكربون الضار بالصحة.

٣ ـ إنتاج كمية كبيرة من الأوكسجين اللازم لحياة الإنسان والحيوان.

٤ ـ ظل الأشجار يحمى الإنسان من حرارة الشمس.

٥ ـ لها فوائد مهمة فى حماية النباتات والزراعات فى الأرض الصحراوية حيث تعمل كمصد للرياح، حيث تحمى الإنسان والحيوان من التيارات الهوائية.

٦ ـ تضفى على الجو نسبة من الرطوبة نظرا لأن النباتات تقوم بعملية النتح الذى يخرج فى صورة جزيئات صغيرة من المياه التى تتوزع فى الجو، وتحيط المناطق المزروعة.

٧ ـ تقوم الأشجار فى المناطق الصناعية وكذا فى المدن التى تحيط بها الجبال أو الصحارى بتقليل كمية الأتربة والمواد الملوثة الموجودة بالهواء حيث تعمل كمصفاة، لذلك لجأت كثير من المدن فى العالم إلى عمل ما يسمى بالحزام الأخضر حول المدن.

٨ ـ تعمل الأشجار كمصدٍّ للرياح وتعتبر مسئولة عن تثبيت الرمال، ومنع زحف الرمال، وبالتالى فهى تمنع ظاهرة التصحر التى تهدد كثيرا من الدول.

---

(١) انظر: البيئة والتلوث ـ خالد محمود عبد اللطيف ص ٨٨ ـ دار الصحوة (القاهرة).

ولقد حثنا الرسول عليه الصلاة والسلام على الاهتمام بغرس الأشجار وزراعتها لما فيها من استمرارية للحياة، وفائدة للناس.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن يغرسها قبل قيام الساعة فليفعل وأجره عند الله عظيم».

ولقد حرم الدين قطع الأشجار حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «من قطع سدرة صوب الله رأسه فى النار». ولقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن قطع الأشجار لما فيها من نعمة جليلة.

ولقد فقد الإنسان ثلثى الغابات فى العالم، وتقوم البلديات فى كثير من مدن العالم بإزالة الأشجار من الشوارع رغم شدة أهميتها للبيئة، وخصوصا مع التزايد الخطير فى السكان، والتزاحم الكبير فى المدن الصناعية التى تخرج كميات هائلة من المواد الضارة بالبيئة.

ولقد أوضحت البحوث الحقائق التالية:

١ ـ يجب زراعة ١٠٠ شجرة أمام كل سيارة نقل.

٢ ـ يجب زراعة ١٠ شجرات أمام كل سيارة صغيرة.

٣ ـ يجب أن يقوم كل مصنع بزراعة شجرة أمام كل لتر من الوقود الذى يستخدم فى إدارة المعدات.

٤ ـ تقوم بعض الأشجار بإنتاج أوكسجين فقط ولا تنتج إطلاقا ثانى أكسيد الكربون.

٥ ـ تقوم بعض الأشجار بامتصاص بعض المركبات السامة، وتقوم بهدمها.

٦ ـ تقوم بعض الأشجار بامتصاص بعض المواد السامة من الهواء.

٧ ـ تقوم بعض الأشجار بتصفية الهواء من الملوثات العالقة به.

٨ ـ تقوم الأشجار بخفض درجة الحرارة، وبخفض سرعة التيارات الهوائية الصناعية والهابطة، وتلعب دورا مهما فى تعديل المناخ [1].

---

(١) المنهج الإسلامى لعلاج تلوث البيئة د. أحمد عبد الوهاب عبد الجواد ـ الدار العربية للنشر والتوزيع ـ القاهرة.

٦ـ حماية الحيوانات وحسن معاملتها

لفت القرآن أنظار الناس إلى هذه الحيوانات التى خلقها الله لخدمة الإنسان والاستفادة بركوبها، والانتفاع بلحومها وجلودها. قال تعالى: ﴿ والخيلَ والبغالَ والحمير لتركبوها وزينةً ويخلق ما لا تعلمون ﴾ (سورة النحل: ٨).

وفى القرآن سورة تسمى سورة النمل حيث تحدثت النملة إلى جموع النمل تأمرهم بدخول مساكنهم حتى لا يتعرضوا للدهس والتحطيم من جنود سليمان النبى الكريم، قال تعالى: ﴿حتى إذا أتوا على وادى النمل قالت نملة يأيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يَحْطِمنَّكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون﴾ (النمل: ١٨).

وفى سورة النمل نجد حديثا مستفيضا عن الهدهد حيث أدى واجبه، وكان رسولا أمينا من طرف سليمان إلى بلقيس ملكة سبأ، وانتهت مهمته بحضور بلقيس طائعة إلى سليمان ثم قالت: ﴿ ربِّ إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾ (سورة النمل: ٤٤).

هذه الحيوانات تؤدى دورا فى هذه الحياة، والعناية بها وبطعامها وحسن معاملتها، وتضميد جراحاتها، والرأفة بها واجب دينى وإنسانى وفطرى.

وقد تكلم القرآن عن عسل النحل وأثره فى شفاء الإنسان، وسمى القرآن سورة كاملة بسورة النحل حيث يقول الله تعالى: ﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون * ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ (سورة النحل: ٦٨، ٦٩).

فالله ألهم النحل أن يتخذ بيوته فى ثلاثة أماكن: الجبال، والشجر، وبيوت الناس، حيث تبنى بيتا يستظل به كالعريش وهى تسلك طريقها إلى رزقها، ثم تخرج ما تأكله شرابا مختلف الألوان، فتارة أصفر، وتارة أبيض، وحينا أحمر بحسب اختلاف المرعى ﴿ فيه شفاء للناس ﴾ لأنه نافع لكثير من الأمراض وكثيرا ما يدخل فى تركيب العقاقير والأدوية[١].

والحيوانات، تقدم للإنسان اللبن النافع المفيد، حيث يقول سبحانه: ﴿وإن لكم فى الأنعام لعبرةً نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين﴾ (سورة النحل: ٦٦).

وفى هذه الآية إعجاز علمى، حيث أشارت إلى عمل الدورة الدموية فى الحيوان، وهو أمر لم يكن معروفا فى عصر نزول القرآن. يقول المستشرق موريس بوكاى:

«إن اكتشاف الدورة الدموية من عمل هارفى Harvey وقد تم هذا الاكتشاف بعد عشرة قرون تقريبا من تنزيل القرآن»[٢].

وقد اهتم القرآن والسنة النبوية بأمر الحيوان أيما اهتمام، ودعا الإسلام إلى حماية الحيوانات، وحسن معاملتها، فقد سخرها الله لخدمة الإنسان، وفى نفس الوقت خلقها الله لتؤدى وظيفتها فى الحياة إلى جانب الإنسان.

ومن خلال الحيوانات يتم توفير حياة للنبات كما يكون بعضها مصدر رزق لبعض وللإنسان، وتزيد التربة والبحار خصوبة بروثها، وبقايا أجسادها، كما تشارك فى إعداد الهواء عن طريق التنفس، وتساعد على التلقيح، وتوزيع النباتات من خلال حركتها وهجراتها، وفى بعض الحيوان غذاء لبعض، وللإنسان فيها جلود وأصواف وأوبار وأشعار وأدوية وعطور ووسائل للنقل إضافة إلى العسل واللحوم والألبان، والحيوانات مقدرة لإحساسها ومداركها الواعية وسلوكها وعلاقتها الاجتماعية حيث إنها عبارة عن أمم مماثلة لعالم الإنسان، إذ قال

---

(١) تفسير الآيات الكونية أ. د. عبد الله شحاتة ص ١٤٨ ـ دار الاعتصام ـ القاهرة.

(٢) تفسير الآيات الكونية ص ١٤٦ وفيها بحث موسع عن الموضوع.

الله تعالى فى القرآن الكريم : ﴿ وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾ (سورة الأنعام: ٣٨).

والقرآن الكريم يرشدنا إلى أن هذه المخلوقات لها وظائف جمالية وتزيينية أيضا بالإضافة إلى وظائفها الأخرى، وبما أن راحة النفس مطلب دينى ينبغى توفير أسبابه والمحافظة عليه، فقد جعل الله فـى المخلوقات ما يبعث البهجة والسرور فـى النفـس حرصا على راحة الإنسان النفسية لما فى ذلك من دفع له على العمل لأداء وظيفته [1]. كما ينبهنا القرآن الكريم إلى وظائف أخرى لهذه المخلوقات قد لا نعلمها ولا نحسها، وهى وظيفة العبودية القهرية لله وتسبيحه والسجود له، يقول تعالى: ﴿ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب﴾ : (سورة الحج: ١٨)، ويقول تعالى: ﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ (سورة الإسراء: ٤٤)، ويقول تعالى: ﴿ ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها﴾ (سورة الرعد: ١٥).

والإسلام يحرص على بقاء هذه الكائنات حية تؤدى وظائفها المنوطة بها، فالإهلاك المؤدى إلى انقراض أى نوع من الحيوان والنبات بفعل الإنسان هو عمل لا مبرر له، كما لا ينبغى استهلاكها بشكل يفوق حركة تجددها، وهذا يشمل الصيد، والاحتطاب، وكافة الاستخدامات للموارد الحية، فالمحافظة على تنوع الكائنات الحية واجب للأحياء ذاتها، وللمصالح الموجود فيها للإنسان، ولشتى المخلوقات الأخرى.

وقد أرسل الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين يقول الله تعالى: ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (سورة الأنبياء: ١٠٧)، حيث علمنا من خلال أوامره ووصاياه كيف نرعى هذه المخلوقات ونرحمها ونتقى الله تعالى فيها، فقال صلى الله عليه وسلم: « الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من

---

(١) حماية البيئة فى الإسلام - الاتحاد الدولى لصون الطبيعة - مصلحة الأرصاد وحماية البيئة بالسعودية ص ١٢.

في الأرض يرحمكم من في السماء . . . الحديث» [1]، ولقد أمر الناس أن ينفقوا على دوابهم ما تحتاج إليه، وأنذر عليه الصلاة والسلام بأن من يتسبب في موت حيوان جوعا أو عطشا يعذبه الله في نار الجحيم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار لا هي أطعمتها وسقتها إذ هي حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض» «متفق عليه». وكذلك أمر الناس أن يعتنوا بالحيوانات التي هي في حاجة إلى عنايتهم فأخبر عن شخص غفر الله له ذنوبه لأنه سقى كلبا فأنقذه من الموت عطشا، قالوا: يا رسول الله وإن لنا في هذه البهائم لأجرا؟ فقال: «في كل كبد رطبة أجر» [2].

وصيد الحيوان للأكل مباح في الإسلام، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من اتخذ شيئا فيه روح غرضا، أي صيره هدفا فجعل حياته لعبا وعبثا: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من اتخذ شيئا فيه روح غرضا» [3]. ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تصبر بهيمة أو غيرها للقتل [4]. وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته» [5].

---

(١) حديث حسن صحيح رواه أبو داود في كتاب الأدب باب الرحمة رقم ٤٩٤١، والترمذي في أبواب البرّ والصلة عن عبدالله بن عمر.

(٢) حديث رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بينما رجل يمشي فاشتد عليه العطش، فنزل بئرا فشرب منها، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملأ خفه ثم أمسكه بفيه، ثم رقي وسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له، قالوا: يا رسول الله وإن لنا في البهائم لأجرا؟ قال: في كل كبد رطبة أجر»، كتاب الأدب باب رحمة الناس والبهائم حديث ٦٠٠٩، وكتاب المساقاة باب فضل سقي الماء حديث ٢٢٦٣، ومسلم باب سقي البهائم وإطعامها حديث ٥٥٧٧ عن أبي هريرة.

(٣) حديث رواه البخاري في كتاب الذبائح والصيد حديث ٥٥١٤، ومسلم كتاب الصيد والذبائح باب النهي عن صبر البهائم حديث ٤٨١٦ عن عبدالله بن عمر، وحديث رواه النسائي عن الشريد في كتاب الضحايا والطبراني عن يزيد (مجمع الزوائد، كتاب الصيد والذبائح).

(٤) حديث رواه البخاري كتاب الذبائح والصيد ٥٥١٣، ٥٥١٤ ومسلم كتاب الصيد والذبائح باب النهي عن صبر البهائم حديث ٤٨١٢ عن عبدالله بن عمر، وحديث رواه أبو داود كتاب الأضاحي باب النهي أن تصبر البهائم حديث ٢٨١٦، ٢٨٢٦ عن أنس وعبدالله بن عباس وأبي هريرة، وحديث رواه الطبراني عن عبدالله بن عباس (مجمع الزوائد، كتاب الصيد والذبائح).

(٥) حديث رواه مسلم كتاب الصيد والذبائح باب إحسان الذبح حديث ٤٨١٠ عن شداد بن أوس وأبي داود في كتاب الأضاحي حديث ٢٨١٥.

وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن استيقاد النار على قرية النمل. جاء فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نملة قرصت نبيا من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقت فأوحى الله إليه: أفى أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح [1]. ولقد أمر صلى الله عليه وسلم رجلاأخذ فراخ طائر من وكرها أن يرجع بهن من حيث أخذهن وأمهن معهن وهى كانت تحاول أن تحميهن [2]، ولقد نهى عن قطع شجرة فى الفلاة يستظل بها الإنسان والحيوان غشما وظلما [3]، ويفهم من ذلك أن الغاية هى عدم تخريب موارد سكن وعيش المخلوقات.

ولقد استدل الفقهاء من الأوامر والنواهى النبوية أن لمخلوقات الله حرمة تظل قائمة حتى في أثناء الحرب كحرمة غير المقاتلين من النساء والصبيان«وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل النحلة ونهى أن يقتل شىء من الدواب صبرا»، ولأنه إفساد يدخل في عموم قوله تعالى: ﴿وإذا تولَّى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويُهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾ (سورة البقرة: ٢٠٥)، ولأنه حيوان ذو روح فلم يجز قتله لغيظ المشركين... ولأنه حيوان ذو حرمة فأشبه النساء والصبيان» [4].

---

(١) حديث رواه البخارى فى كتاب الجهاد حديث ٣٠١٩، ومسلم باب النهى عن قتل النمل حديث ٥٥٦٧، وأبو داود حديث ٥٢٦٦ عن أبى هريرة.

(٢) حديث رواه أبو داود عن عامر الرام فى كتاب الجنائز باب الأمراض المكفرة للذنوب ٣٠٨٩ «عن عامر الرام...... فبينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل عليه رجل عليه كساء وفى يده شىء قد التف عليه، فقال: يا رسول الله، إنى لما رأيتك أقبلت إليك فمررت بغيضة شجر فسمعت فيها أصوات فراخ طائر، فأخذتهن فوضعتهن فى كسائى، فجاءت أمهن فاستدارت على رأسى فكشفت لها عنهن، فوقعت عليهن معهن، فلففتهن بكسائى، فهن أولاء معى. قال: «ضعهن عنك» فوضعتهن، وأبت أمهن إلا لزومهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «أتعجبون لرحم أم الفراخ فراخها»؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: «فوالذى بعثنى بالحق لله أرحم بعباده من أم الأفراخ بفراخها، ارجع بهن حتى تضعهن من حيث أخذتهن وأمهن معهن» فرجع بهن».

(٣) حديث رواه أبو داود باب قطع السدر حديث ٥٢٣٩ عن عبدالله بن حبشى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قطع سدرة صوب الله رأسه إلى النار». سئل أبو داود عن معنى الحديث فقال هذا الحديث مختصر يعنى من قطع سدرة فى فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثا وظلما بغير حق يكون له فيها ـ صوب الله رأسه فى النار.

(٤) موفق الدين عبد الله بن قدامة المتوفى ٦٢٠ هـ فى (المغنى)، كتاب الجهاد.

ومن مميزات الشريعة الإسلامية أن للحيوانات حقوقا شرعية تراعى فى أنظمة الحسبة والمحاكم، وقد استخلصت حقوق الحيوان على الإنسان من نصوص الأحاديث منذ أكثر من سبعه قرون، وذلك على النحو التالى: « حقوق البهائم والحيوان على الإنسان: وذلك أن ينفق عليها نفقة مثلها ولو زمنت أو مرضت بحيث لا ينتفع بها، وألا يحملها ما لا تطيق، ولا يجمع بينها وبين ما يؤذيها من جنسها أو من غير جنسها بكسر أو نطح أو جرح، وأن يحسن ذبحها إذا ذبحها، ولا يمزق جلدها، ولا يكسر عظمها حتى تبرد وتزول حياتها، وألا يذبح أولادها بمرأى منها، وأن يفردها ويحسن مباركها وأعطانها، وأن يجمع بين ذكورها وإناثها فى إبان إتيانها، وألا يخذع صيدها ولا يرميه بما يكسر عظمه، أو يرديه بما لا يحل لحمه»[1]، والإسلام ينظر إلى هذه المخلوقات. من حيوان ونبات من ناحيتين:

١ـ من ناحية أنها كائنات حية موجودة لذاتها لتحقيق وظيفتها فى التسبيح وفى الدلالة على قدرة الله وحكمته.

٢ـ ومن ناحية أنها مسخرة لخدمة الإنسان، والمخلوقات الأخرى تؤدي دورها فى عمارة هذا العالم.

ومن هنا أوجب المحافظة عليها وتنميتها: لذاتهامن ناحية، ولأهميتها كموارد حية فريدة لا يستعاض عنها، لمنفعة الإنسان وغيره من الخلق من ناحية أخرى[2].

---

(١) عز الدين بن عبد السلام المتوفى ٦٦٠ هـ فى (قواعد الأحكام فى مصالح الأنام) إن هذه الفقرة وردت ضمن الشرح على حقوق المخلوقين، وحقوق الحيوان أقل شمولية من حقوق الإنسان وهى تخضع لقيود مثل حفظ حياة الإنسان وما له وحاجته للغذاء. ومع ذلك فإن مفهوم الإسلام فى الحقوق ورعايتها من قبل السلطان أمر ذو مغزى حيث يسرى على الحيوان والإنسان على السواء.

(٢) حماية البيئة فى الإسلام، الاتحاد العالمى للصون، ومصلحة الأرصاد وحماية البيئة بالسعودية، ص ١٥.

الباب الثالث

نظافة البيئة

النظافة

اهتم الإسلام بالنظافة اهتماما خاصا، وحث على الطهارة، وجعل
لصحة الصلاة.

وبذلك اندرجت النظافة والطهارة تحت أحكام العقيدة الإسلامية،
النظافة خلقا من أخلاق الإسلام. وقد امتدت هذه النظافة إلى البيئة
بالإنسان فوجب أن يعيش المؤمن فى بيئة نظيفة طاهرة، وأن يبتعد عن
والميكروبات وأسباب العدوى.

وإن من أوائل مباحث العبادات فى الإسلام الصلاة، ومن أهم ش
الطهارة. فإذا رغبت فى الصلاة وجب أن يكون بدنك طاهرا من الجنابة وا
وأن تكون متوضئا، وأن تكون ثيابك طاهرة، قال تعالى: ﴿وثيابَك
(المدثر: ٤). وأن يكون المكان الذى تصلى عليه طاهرا، فإن الله لا يقب
امرئ حتى يضع الطهور مواضعه.

والطهارة تشمل الاستنجاء، والوضوء، والاغتسال، والمسح على
والتيمم.

الاستنجاء

يدخل الإنسان دورة المياه ليتبول أو يتغوط، ويلزمه إزالة أثر البول أو
بعد أن يطمئن قلبه إلى خروج الفضلات منه، وذلك بالمشى أو التـ
الاضطجاع أو غيره. ولا يجوز له الشروع فى الوضوء حتى يطمئن إ
رشح البول وفضلات الطعام. وخروج الفضلات من الإنسان نعمة كبير
أن يحتفى الإنسان بها، ويشكر الله بعد خروجها. وعلى الإنسان أن

نظافة نفسه وطهارتها من أثر البول والغائط . وهذه الطهارة وقاية للإنسان من كثير من الأمراض، فقد ثبت أن منافذ الإنسان التى تنقل العدوى بسببها هى «العين، الأنف، الفم، الأذن، وفتحة الشرج». وقد عنى الدين بنظافة هذه الأمور نظافة متتابعة عند الاستنجاء و الوضوء والاغتسال.

وكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا خرج من قضاء الحاجة يقول: الحمد لله الذى أذهب عنى ما يؤذينى وأبقى على ما ينفعنى، غفرانك.

الوضوء

الوضوء عبادة وطهارة ونظافة، يترتب عليها الآتى:

١ ـ غسل اليدين

٢ ـ المضمضة ثلاث مرات.

٣ ـ الاستنشاق ثلاث مرات.

٤ ـ غسل الوجة ثلاث مرات.

٥ ـ غسل اليدين إلى المرفقين «الذراعين» ثلاث مرات.

٦ ـ مسح الرأس.

٧ ـ مسح الأذنين.

٨ ـ غسل القدمين وتخليل الأصابع، أى غسل ما بين الأصابع ثلاث مرات حتى تتم النظافة.

وللوضوء أثر عملى فى نشاط الإنسان وسلامته الصحية.

الاغتسال

هو تعميم الجسم بالماء، وهو فريضة على المسلم عند الجنابة، وعلى المسلمة عند الطهارة من الحيض أو النفاس، وهو وسيلة صحية لنشاط الجسم وطهارته وسلامته من كل قذارة أو نجاسة.

حيث يبدأ المسلم بغسل يديه، ويغسل أى نجاسة على بدنه حتى لا تشيع، ثم يتوضأ كوضوء الصلاة، ثم يفيض الماء على رأسه ونصفه الأعلى الأيمن، ثم نصفه الأعلى الأيسر، ثم يغسل نصفه الأسفل الأيمن، ثم نصفه الأسفل الأيسر، ويعمم الماء على جميع الجسم.

ويسنّ أن يغتسل يوم الجمعة، وعند الذهاب إلى حفلة أو مجتمع. قال تعالى: ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ (الأعراف: ٣١).

ومن سنن الاغتسال ما يأتى:

١ ـ النية أى نية الاغتسال أو رفع الحدث الأكبر أو الطهارة أو النظافة.

٢ ـ البدء بغسل يديه ثم فرجه.

٣ ـ الوضوء كوضوء الصلاة، وبذلك يتهيأ الجسم لاستقبال الماء.

٤ ـ إفاضة الماء على البدن ثلاث مرات، مستوعبا جميع أجزاء البدن.

٥ ـ البدء بغسل الميامن قبل المياسر، فيبدأ بغسل شقه الأيمن قبل الأيسر.

٦ ـ تدليك الجسم عند الاغتسال.

والوضوء والاغتسال من أسباب الصحة العامة والنشاط، والقوة البدنية، والطهارة النفسية. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الغسل يوم الجمعة واجب، والسواك، وأن يمس من الطيب ما يقدر عليه».

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«حق على كل مسلم أن يغتسل كل سبعة أيام يوما، يغسل فيه رأسه وجسده».

من القرآن والسنة:

قال تعالى: ﴿ يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبًا فاطّهّروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم

وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون﴾ . (سورة المائدة: ٦).

وقال تعالى: ﴿ وينزِّل عليكم من السماء ماء ليطهِّركم به ويُذهبَ عنكم رِجْز الشيطان ﴾ (الأنفال: ١١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن المؤمن إذا توضأ فغسل يديه خرجت الخطايا من يديه، فإذا مضمض خرجت الخطايا من فيه، فإذا استنشق خرجت الخطايا من أنفه، فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه، فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظافر يديه، فإذا مسح رأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من تحت أذنيه، فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظافر رجليه، ثم كان مشيه إلى المسجد والصلاة نافلة له».

سنن الفطرة

أى الأمور التى ينبغى للمسلم عملها بحكم الفطرة الإنسانية، مثل نتف الإبط، وحلق العانة، وقص الشارب، وتقليم الأظافر، والختان، أى إزالة القلفة من الذكر حتى لا تتجمع تحتها الأوساخ، وهى أمور كلها تتلاقى مع نظافة الجسم والعناية به، وطهارته من كل الأوساخ والأدران. قال صلى الله عليه وسلم: خمس من الفطرة:

١ ـ الاستحداد «حلق شعر العانة».

٢ ـ الختان «إزالة القلفة من الذكور».

٣ ـ قص الشارب.

٤ ـ نتف الإبط.

٥ ـ تقليم الأظافر.

ويستحب أن يزيل المسلم هذا الشعر الزائد مرة كل أسبوع، ولا يجوز تركه أكثر من أربعين يوما. قال أنس رضى الله عنه: «وقت لنا رسول الله صلى الله عليه

وسلم فى قص الشارب وتقليم الأظافر ونتف الإبط وحلق العانة، ألا يترك أكثر من أربعين يوما».

نظافة الأيدى وتطهيرها

اليد من أهم الأعضاء، فهى وسيلة الأخذ والعطاء والسلام وتناول الطعام، والكتابة، والعمل. وتأخذ اليد أشكالا متعددة بحسب الحركة المرادة منها. واليد سبيل العطاء والمنع، والإحسان والإساءة، ومن التعابير القرآنية المشهورة. قال الله تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا﴾ (الإسراء: ٢٩).

ومراد الآية التوسط فى النفقة حتى لا يكون الإنسان بخيلا شحيحا أو مسرفا مبذرا. ومعنى الآية لا تكن شحيحا بخيلا كمن لصقت يده فى عنقه فلا تتحرك لعمل من أعمال المعروف والخير، ولا تكن مسرفا متلافا كشخص بسط يده بالنفقة وإخراج المال إلى أن ينفد ما عنده فيجلس وقد لامه الناس أو خذلوه وانصرفوا عنه، فيتحسر ويندم، بعد فوات الأوان.

غسل اليدين

أمرنا بغسل اليد فى أول الوضوء، حتى نطهرها، وتصبح صالحة للاستعمال، ونقل الماء الطهور إلى أعضاء الوضوء، وأمرنا بغسل الأيدى قبل الطعام وبعده. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بركة الطعام الوضوء قبله وبعده».

ولعل المراد بالوضوء هنا الوضوء اللغوى، وهو غسل اليد والفم وتطهيرهما قبل الأكل وبعده.

ويحث الإسلام على غسل الأيدى قبل زيارة المريض وبعده، وفى ذلك وقاية من نقل العدوى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم عاد أخاه المريض، فقد جلس فى غرفة من غرف الجنة، وتستغفر له الملائكة إلى الصباح».

وقد أمرنا بغسل أيدينا قبل النوم، وعند الاستيقاظ من النوم، وبعد قضاء الحاجة. ومن هدى الرسول صلى الله عليه وسلم ـ أنه كان يأكل بيمينه، ويستنجى بشماله، وبعد الاستنجاء وإزالة أثرى البول والغائط، ينبغى أن نغسل أيدينا وننظفها بالصابون، حتى يذهب أثر النجاسة، وتصبح اليد طاهرة حسنة الرائحة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمسن يده فى الإناء حتى يغسلها ثلاثا، فإنه لا يدرى أين باتت يداه».

وجاء فى الحديث الصحيح: «قال أنس يا رسول الله أيرقد أحدنا وهو جنب؟ قال نعم إذا توضأ». وفى شرح الحديث: لعل المراد به الوضوء اللغوى، وهو الاستنجاء وغسل أطراف الإنسان من باب الطهارة، ولعل ذلك يشجعه على الاغتسال، فإذا كان سيغسل أطرافه من أجل النوم، فأولى به أن يتطهر ويغتسل من الجنابة اغتسالا كاملا.

وهكذا يحيط الإسلام المسلم بنظافة يده وفمه وجسمه وملابسه، بل ويحثه على طهارة قلبه بالتوبة والرجوع إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾. (البقرة: ٢٢٢).

الفم والأسنان

الفم وسيلة الكلام، وأداة المخاطبة والتفاهم، والأسنان السليمة، وسيلة إلى صحة سليمة، وبدن سليم. وقد اهتم الإسلام بنظافة الفم والأسنان، فأمر بنظافتهما قبل الأكل وبعد الأكل، وحث الإسلام على استخدام السواك، وهو قطعة من شجر الأراك تطهر الفم، وتنظف الأسنان، ويمكن استخدام فرشة الأسنان والمعجون المناسب، وتنظيف الأسنان من الفضلات وبقايا الطعام، وآثار الحلوى، وكل ما يدخل فى الجسم، فهذه البقايا تتخمر وتتغير رائحتها وتسبب تعفن الفم أو تغير رائحته.

والمسلم يناجى ربه فى الصلاة، وتحضر الملائكة هذه الصلاة، وتشهدها مع المسلم، فينبغى أن يكون طاهر الفم نظيف الأسنان، قد بذل جهدا فى نظافة فمه قبل

الأكل وبعده، واستخدم الصابون، والسواك، أو الفرشة ومعجون الأسنان، ونظف أسنانه من الفضلات بأى وسيلة يتعود عليها.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تزينوا وتنظفوا واستاكوا»، أى استخدموا السواك. وقال عليه الصلاة والسلام : « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة ». وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخدم السواك إذا أخذ مضجعه من النوم، وإذا قام من الليل، وإذا خرج إلى الصلاة، وكان الصحابة يحملون سواكهم معهم أينما ذهبوا، ويربطونها فى ذوائب سيوفهم، وكانت نساء الصحابة يحملن السواك فى خمرهن.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب ».

وقد رأى الرسول عليه الصلاة والسلام بعض أصحابه يهمل فى نظافة أسنانه حتى اصفر لونها فقال لهم : « مالى أراكم تدخلون علىّ قلحا... استاكوا يرحمكم الله ».

نظافة الأنف

من السنة الاستنشاق بالماء ثلاث مرات عند كل وضوء مع غسل الفم، وهذه ظاهرة لها أهميتها، فمعظم الميكروبات تنتقل إلى الإنسان بالرذاذ مثل الإنفلونزا، وشلل الأطفال، والبكتيريا، وكثير غيرها.

يصل الميكروب إلى الأنف والحلق أولا، ومن هناك تنتقل الميكروبات إلى داخل الجسم وتصيبه بالمرض، وهذا الغسيل المتكرر للأنف والفم يجرف معه تلك الميكروبات، إلى الخارج ويحفظ الإنسان من المرض.

فاحرص على نظافة الأنف، وتكرير الاستنشاق بالماء الطاهر، عند كل وضوء، وقبل النوم وعند الاستيقاظ، وكلما شعرت بالحاجة إلى هذه النظافة فافعلها، وتعود عليها، وعوّد عليها أسرتك وأهل بيتك، فإنها وسيلة عملية لنظافة الأنف وصحته، وسلامته من أن يكون عشا أو موطنا للميكروبات. والأنف النظيف سبيل عملى إلى جسم سليم، وصحة طيبة.

نظافة الرأس

الرأس تاج فوق قامة الإنسان، والشعر أول ما يظهر من الإنسان، فينبغى أن يهتم الإنسان بغسل شعره وترجيله، وإكرامه بما يناسبه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من كان له شعر فليكرمه ». وعن عطاء بن يسار أن رجلا ثائر الرأس واللحية دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأشار إليه الرسول عليه السلام وأمره بغسل شعره وإصلاحه ففعل ثم رجع إلى مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام: « أليس هذا خيرا من أن يأتى أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان » ؟

وهكذا امتدت تعاليم النبى عليه الصلاة والسلام فشملت السلوك اليومى للمسلم، وجعلت حرصه على نظافة بدنه، وثوبه، وشعره، وسائر بدنه، خلقا وسلوكا، وسجية ينبغى أن يحرص عليها، باعتبار أن النظافة أساس هذا الدين، وهى عماد من أعمدة الطهارة والعبادة، بل والوجاهة والقبول والمودة بين الناس.

وقد حرّم الإسلام على من أكل ثوما أو بصلا أو أى طعام له رائحة كريهة، أن يذهب إلى المجتمعات حتى لا يؤذى الناس برائحته أو شكله.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أكل ثوما أو بصلا فلا يقرب مساجدنا يؤذنا »، أى لا يقترب من المساجد، أو أماكن الاجتماعات، حتى لا يؤذى الناس بالروائح المنبثقة منه.

ورأى عليه الصلاة والسلام رجلا من شيوخ القبائل لكن ثوبه قذر، وشعره هائج، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم: «ألك زوجة ؟ قال: نعم. قال: فاذهب إلى زوجتك واجعلها تغسل لك ثوبك، وتأخذ من شعرك، فإنك سيد فى قومك، وما أراه لا يليق بك». وحث النبى صلى الله عليه وسلم على إكرام الشعر ونهى عن تركه أشعث.

ورأى عليه الصلاة والسلام رجلا أشعث فقال: «أما وجد هذا ما يسكن به شعره» ؟ ولا بأس أن يستخدم الإنسان سائلا أو كريما ينظف شعره من القشر أو المرض، ويجعل لشعره شكلا حسنا، وترتيبا جميلا.

نظافـة الثـوب

قال تعالى : ﴿ يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾ (الأعراف : ٣١) .

والثوب النظيف الطاهر يبعث الثقة فى النفس ، ويحث على الاحترام . وقد كان صلى الله عليه وسلم حريصا على نظافة ثوبه ، وحسن هندامه ، فهو قدوة عملية .

وكان عليه الصلاة والسلام له جبة يلبسها فى المواسم والأعياد ، وكانت خضراء اللون ، فتصدق بها ، فقالت له عائشة رضى الله عنها : «ما كان أجمل خضارها على بياضك» .

وكان إذا قدم عليه وفد من الوفود تكحل واغتسل وخرج فى أحسن هيئة ، تنفح منه رائحة المسك . وكان عليه الصلاة والسلام إذا مرّ من شارع أو مكان عرف الناس مروره من آثار الطيب الذى يتركه بعد مروره من الشارع .

وكان يحث أصحابه على نظافة ثيابهم وطهارتها ، ويرشدهم إلى غسل ثيابهم إذا اتسخت . ورأى رجلا لم ينظف ثوبه فقال لأصحابه : « أما يجد هذا ما يغسل به ثوبه » ؟

وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : «لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر . فقال له رجل : يا رسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا فهل هذا من الكبر ؟ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : ليس هذا من الكبر ، إن الله تعالى نظيف يحب النظافة ، جميل يحب الجمال ، طيب يحب الطيبين ، الكبر غمط الحق وبطر الخلق »

نظافة الطعام

حرص الإسلام على نظافة الطعام ، وسلامته من أسباب الفساد . قال صلى الله عليه وسلم : «أوكئوا قربكم ، واذكروا اسم الله ، ونظفوا آنيتكم ، واذكروا اسم الله » رواه البخارى ومسلم .

وروى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « غطوا الإناء ، وأوكئوا

السقاء، فإن فى السنة ليلة ينزل فيها وباء من السماء، لا يمر بإناء ليس عليه غطاء، أو سقاء ليس عليه وكاء إلا نزل فيه من ذلك الوباء ».

ومن الحقائق العلمية الحديثة، أن بعض الأمراض المعدية، تنتقل بالرذاذ عن طريق الجو المحمل بالغبار، وأن الميكروب يتعلق بذرات الغبار، عندما تحملها الرياح وتصل من المريض إلى السليم، عن طريق فمه وأنفه أو آنية طعامه وشرابه.

وبعض الأمراض المعدية تسرى فى مواسم معينة من السنة، من أمثلة ذلك أن الحصبة وشلل الأطفال، تكثران فى سبتمبر وأكتوبر، والتيفود فى الصيف، أما الكوليرا فإنها تأخذ دورة كل سبع سنوات، والجدرى كل ثلاث سنوات.

وهذا يفسر لنا قول الرسول صلى الله عليه وسلم: « إن فى السنة ليلة ينزل فيها وباء من السماء»، أى أنها أوبئة موسمية ولها أوقات معينة. ويحرص الإسلام على نظافة إناء الطعام أو الشراب، سواء قبل وضع الطعام فيه أو بعد استعماله. قال صلى الله عليه وسلم: «طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهنّ بالتراب ». والحكمة أن العرب لم تكن تعرف الصابون أو المنظفات الصناعية فى ذلك الوقت، ويمكن الاستغناء عن التراب بما يقوم مقامه الآن من الصابون والمنظفات الأخرى.

نظافة مصادر الماء

الماء أساس الحياة. قال تعالى: ﴿وجعلنا من الماء كل شىء حىّ﴾ (سورة الأنبياء: ٣٠).

وقال تعالى: ﴿وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ (البقرة: ١٦٤).

وقال تعالى: ﴿وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء﴾ (الأنعام: ٩٩).

فالماء نعمة كريمة وسبيل عملى لحياة الإنسان والحيوان والنبات، وإفساد الماء

يؤدى إلى التصحر وجدب الحياة، قال تعالى : ﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غَوْرا فمن يأتيكم بماء معِين﴾ (سورة الملك : ٣٠).

فنحن مطالبون بالمحافظة على الماء، وطهارته وسلامته من الأمراض والأوبئة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا الملاعن الثلاث: البراز فى الموارد، وفى الظل، وفى طريق الناس ». ويقول صلى الله عليه وسلم : « لا يبولن أحدكم فى الماء الدائم ثم يتوضأ فيه، فإن عامة الوسواس منه ». وعن ابن ماجه « أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن يبال فى الماء الجارى ».

إن البيئة التى تحيط بالإنسان، مثل الأفلاج والمياه الراكدة، والبحيرات الصغيرة، تحتاج إلى نظافة بيئية لحمايتها وطهارتها وسلامتها. ومعروف أن الكثير من الأوبئة مثل الكوليرا والتيفود، وشلل الأطفال، والتهاب الكبد المعدى، قد تنتقل بالماء وتعيش فيه، وأن البلهارسيا تنتقل إلى الماء عند التبول فيه وبعد أن تتطور تنتقل إلى من يستحم أو يشرب منه. أما الإنكلستوما فإنها تخرج مع البراز وتعيش فى الطين قرب الشاطئ إلى أن تصل إلى جسم السليم.

ولهذه الأسباب يعتبر فقهاء الإسلام أن الماء الذى يصيبه البول أو البراز نجس، ولا يجوز التوضؤ منه أو الاستحمام فيه أو الشرب منه.

ومن الملاحظ هنا أن أحاديث رسول الله صل الله عليه وسلم تركز وتؤكد دائما على الماء الراكد أو الدائم، مثل مياه الترع الصغيرة والآبار، وقد ثبت علميا أن معظم الميكروبات وبيض الديدان كالبلهارسيا لا تستطيعان الحياة طويلا أو التكاثر فى المياه الجارية، كمياه النيل، أما الترع الصغيرة والآبار ذات الماء الراكد فإنها تشكل خير بيئة لتكاثرها.

إن ملكية الماء لنا وللأجيال القادمة، هى ملكية عامة، قال صلى الله عليه وسلم : «الناس شركاء فى ثلاث، الماء، والكلأ، والنار».

فينبغى أن نحرص جميعا على طهارة الماء، والمحافظة على مصادر المياه مثل الآبار والأفلاج والبحيرات، ولو ترسخت هذه العقيدة فى المسلمين ما قام أحدهم :

١ ـ بالتبرز أو التبول فى مياه الأنهار والترع .

٢ ـ بغسل الأوانى والملابس فى الأنهار والترع .

٣ ـ بإلقاء القمامة والقاذورات فى المصادر المائية .

٤ ـ بإلقاء الحيوانات النافقة المحملة بالأمراض فى المصادر المائية .

٥ ـ بالاستحمام هو وحيواناته فى المياه .

٦ ـ بإلقاء مخلفات المصانع الكيميائية والمخلفات الصلبة فى المياه .

٧ ـ بإلقاء مياه المجارى ومخلفات المنازل فى المصادر المائية .

٨ ـ بإلقاء المواد السامة وبقايا المبيدات وغسل أوانى رشّ المبيدات فى المصادر المائية .

لقد حرم الله الضرر والضرار، وحرم تلويث المياه، حيث إن ذلك يؤدى إلى توصيل الضرر إلى إنسان آخر، سواء فى هذا الجيل أم الأجيال القادمة، وتلعب المواد الضارة الواردة مع المياه دورا مهما فى إصابة الإنسان بالفشل الكلوى، والسرطان، وأمراض الكبد، ومرض الكبد الوبائى .

عفانا الله جميعًا من كل سوء آمين .

نظافة الشراب

كان صلى الله عليه وسلم يهتم بنظافة الماء اهتماما بالغا، وكان يستقى له الماء من مسافة بعيدة عن المدينة، ويهتم باختيار الماء والعناية به والمحافظة عليه، وكان له صلى الله عليه وسلم كأس خاص به من الخشب، يشرب فيه فى البيت هو والسيدة عائشة رضى الله عنها. . وكان صلى الله عليه وسلم ينهى المسلم عن أن يتنفس داخل الإناء، وهو يشرب منه، وثبت أن بعض الميكروبات قد تنتقل مع التنفس، وتعيش فى السوائل أكثر مما تعيش فى الهواء الخانق .

ومن آداب الإسلام أن يشرب الإنسان فى إناء خاص به، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن يشرب فى السقاء لأن ذلك ينتنه . فلا يجوز أن يضع الإنسان

فمه على فم القربة ليشرب منها، بل يصب الماء فى إناء ليشاهده ويشرب منه. عن أبى سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «نهى عن اختناث الأسقية»، أى أن يشرب من أفواهها، ومن المعروف أن الكثير من الأمراض ينتقل عن طريق اللعاب والشفتين من المريض إلى السليم، ومن أهم هذه الأمراض، الإنفلونزا والبكتريا والتيفود والسيلان والزهرى وغيرها كثير.

نظافة المساكن

حث القرآن الكريم على الطهارة والنظافة المعنوية والنظافة الحسية، قال تعالى: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾(البقرة: ٢٢٢)، وقال سبحانه: ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾(الأعراف: ٣١). والمراد أن يكون الإنسان طاهرا نظيفا أنيقا عند كل مجتمع، أو مكان عام، أو عند الخروج إلى الشارع أو المصلى، أو الزيارة أو لقاء أسرى أو جَماعى. أو ذهابه إلى عمله أو أى اجتماع.

كما حث الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين على النظافة والعناية بالجسم والهندام، حتى يكون المسلم عنوانا على النظافة، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أحسنوا رداءكم، وأصلحوا ركابكم، حتى تكونوا شلمة فى الناس».

إن المسلم ينبغى أن يكون نظيفا طاهرا فى جسمه وبدنه وثوبه، ومسكنه والشارع الذى يقطن فيه، والحى أو المدينة أو القرية التى يعيش فيها. فيحافظ على نظافة البيئة وسلامتها، متعاونا مع الآخرين، فى نظافة البيوت والشوارع والأحياء والمدن والقرى، قال تعالى: ﴿وتعاونوا على البِرِّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ (سورة المائدة: ٢).

والنبى صلى الله عليه وسلم يقول: «ترى المسلمين فى توادهم وتراحمهم

وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» .

ومن معالم الدين الإسلامى الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، ومن هذا ما يأتى :

١ ـ نظافة البيوت بالكنس والرش واستعمال وسائل النظافة، حتى تصبح البيوت نظيفة سليمة من آثار الزبالة، سليمة من أسباب العدوى، قال صلى الله عليه وسلم : « نظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود » .

والفناء هو صحن الدار، والمراد نظافة الدار وجمع القمامة وربطها، وحملها إلى أماكن تجمع القمامة، وقد كانت اليهود فى ذلك الوقت تجمع الزبالة فى أفنية بيوتهم، فتنبعث منها الروائح الكريهة. وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى طيب يحب الطّيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، فنظفوا أفنيتكم ودوركم » .

ومن هذه الأحاديث والآثار، وروح الدين الإسلامى، التى تحث على الخير والبر والمعروف، نجد أن البيت المسلم ينبغى أن يكون نظيفا فى داخل الغرف مرتبا مهندما، نظيفا فى الفناء وهو صحن الدار أو غرفة الضيافة، بحيث تكون نظيفة مرتبة يتخللها الشمس والهواء، نظيفا فى داخل المطبخ بغسل الأوانى والأوعية، وترتيبها وإزالة الفضلات، وتغطية الطعام، وحفظه فى الثلاجة أو أى أسلوب صحى للسلامة والنظافة .

وبذلك يعود للبيت المسلم الوضاءة والجمال، والسمعة الطيبة، وتعود المودة والمحبة بين الأفراد، وتعود الصحة والعافية، والبهجة ووسائل السعادة بين أفراد الأسرة المسلمة، فالعقل السليم فى الجسم السليم، وأوامر الإسلام كلها تهيب بالمسلم أن يكون متفوقا قويا فى دينه وعلمه وبدنه. قال صلى الله عليه وسلم : «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف وفى كل خير، استعن بالله ولا تعجز، ولا تقل لو أنى فعلت كذا لكان كذا، فإن لو تفتح عمل الشيطان، بل فلتقل قدر الله وما شاء فعل » .

نظافة الطريق أو الشارع

الطريق أو الشارع هو المسلك الذى تسلكه إلى منزلك، ونظافته واجبة على المجموع، وحتى تتم نظافة البيوت، يجب نظافة الشارع والحى والبيئة، ومن كلام شيوخنا «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»، أى لن تتم نظافة بيوتنا، إلا من خلال نظافة الشارع والحى والجماعة التى تجاورنا.

إن تعاون الشباب والفتيان والفتيات والرجال والنساء، أمر واجب قال تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ (المائدة: ٢). ويظهر أثر هذا التعاون فى تشجير الشارع، ونظافته وتطهيره من أسباب العدوى، وتحذير من يفسد الشارع أو يلقى فيه زبالة أو قذارة، لأن هذه القاذورات تسبب المرض والعدوى، والناس تلعن من يترك القاذورات فى الشارع أو الطريق.

من هدى السنة

١ - قال صلى الله عليه وسلم: «اتقوا الملاعن الثلاث: البراز فى الموارد وقارعة الطريق والظل»، أى احذروا أن يلعنكم الناس إذا أخرجتم الفضلات من أجسامكم عند موارد المياه أو مجتمع الناس، أوفى الطريق، أو فى الظل بجوار المنازل، أو تحت الشجر، حيث يريد الناس الجلوس أو التجمع. وهذا هدى جميل يحذر من وسائل العدوى، ويحث على النظافة والطهارة، ويحذر من أسباب الفرقة والتنافر بين الناس.

٢ - وقال صلى الله عليه وسلم: «من سمى الله ورفع حجرا أو شجرا أو عظما من طريق الناس مشى وقد زحزح نفسه من النار».

٣ - وقال صلى الله عليه وسلم: «من آذى المسلمين فى طريقهم وجبت عليه لعنتهم».

٤ - وقال صلى الله عليه وسلم: «أن تميط الأذى من طريق الناس لك صدقة»، أى إذا حافظت على نظافة الطريق مما يضر الناس، كالحجر أو الزبالة أو المياه المفتوحة، وتسببت في سلامة الطريق فهذا صدقة.

٥ ـ وقال صلى الله عليه وسلم : « إياكم والجلوس فى الطرقات ، قالوا يا رسول الله ما لنا بد من مجلسنا نتحدث فيها . . قال : فإذا أبيتم إلا الجلوس فأعطوا الطريق حقّه ، قالوا وما حق الطريق يا رسول الله ، قال : غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » .

وهذا الحديث يوضح أن أساس اجتماع الناس هو البيوت أو المساجد أو النوادى أو المؤسسات المتخصصة . أما الشارع فهو لمرور الناس . فإذا كان الإنسان مضطرا إلى الجلوس فى الشارع ، وجب أن يلتزم بآداب الإسلام ومنها :

(أ) غض البصر عن عورات الناس .

(ب) كف الأذى وعدم إلقاء الزبالة أو القذارة التى تلوث الطريق .

(جـ) ردّ السلام .

(د) الأمر بالمعروف والفضائل ، والنهى عن المنكر والرذائل .

تحريم البصق فى الطريق

إن الطريق له حرمة ، فيجب المحافظة عليه ، والمساهمة فى نظافته وسلامته من وسائل المرض ، ومن ذلك عدم البصق فى الأرض ، وإذا اضطر الإنسان لذلك فيجب ردم هذا البصق وتغطيته ، ووقاية الناس من شره . لأن البصق قد يكون مليئا بالميكروبات المعدية ، مثل ميكروب السلّ ، وهذه الميكروبات تنقلها الريح من المريض إلى السليم .

عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : «البصاق على الأرض فى المسجد خطيئة ، وكفارتها ردمها » . ويكون ردم البصاق أو دفنه فى الأرض أو فيما يشبه ذلك ، حتى لا تنقل الريح الميكروبات ، كما أن هذه الميكروبات لا تعيش طويلا فى التراب الجاف . وليس المراد نظافة المسجد فقط ، بل نظافة كل مكان ، قال صلى الله عليه وسلم : «جعلت لى الأرض مسجدا وترابها طهورا فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصلّ » .

إن المسلمين ينبغى أن يكونوا أسبق الأمم فى الدعوة إلى النظافة، والبعد عن أسباب العدوى، والتعاون على سلامة البيئة وحفظها من أسباب الأمراض والضرر بالآخرين. قال صلى الله عليه وسلم: «لا ضرر ولا ضرار»، أى لا يجوز أن يكون المسلم سببا فى ضرر الآخرين، أو ضرارهم بحمل أسباب الضرر إليهم.

فالمسلم ينبغى أن يكف أذاه عن الناس، وأن يدفع عنهم الشر والإثم، ومن ذلك التعاون على نظافة الشارع والحىّ وسلامة البيئة من كل أذى وسوء. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد رأيت رجلا يتقلب فى الجنة فى شجرة قطعها من على ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين».

إن الثواب والحسنات لمن يدعم النظافة والطهارة، والنفع العام. وإن العقاب الدنيوى والأخروى، لمن يتسبب فى إيذاء الناس، بأى لون من ألوان الأذى، سواء أكان ذلك معنويا أو حسيا، قال تعالى: ﴿ وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويُهلِك الحرث والنسل والله لا يحبّ الفساد ﴾ (سورة البقرة: ٢٠٥).

الميكروبات والوقاية منها بالنظافة

إن الحرص على النظافة هو السبيل السليم لمنع توالد الحشرات، الناقلة لميكروبات الأمراض، وكذلك منع الإنسان من نقل الميكروبات فى يديه، أو أدوات الطعام، من المريض إلى السليم. وهذه بعض الأمراض التى تنقلها الحشرات، وأخطر هذه الحشرات هو الذباب، وسبب انتشاره، الزبالة المكشوفة، والتغوط فى الأماكن المكشوفة أو الطرق العامة، وينقل الذباب على أجنحته وأرجله الميكروبات من المريض إلى السليم. ومن الأمراض التى ينقلها الذباب إلى الطعام ما يأتى:

١ ـ التيفود.

٢ ـ الدوسنتاريا.

٣ ـ ميكروب التسمم الغذائى.

٤ ـ الحميات الخطرة مثل ـ الكوليرا ـ شلل الأطفال ـ التهاب الكبد المعدى ـ الجدرى.

ومن الحشرات التى تتسبب فى نقل العدوى ما يأتى :

(أ) الصرصار : يعيش على الزبالة وينقل إلى الطعام نفس الأمراض التى ينقلها الذباب.

(ب) البرغوث : يعيش على جسم الإنسان والحيوانات، بسبب القذارة وعدم الاستحمام، وينقل الأوبئة مثل الطاعون والتيفوس.

(جـ) القمل : يعيش فى الرأس والجسم بسبب عدم الاستحمام، وينقل التيفوس والحمّى.

(د) الناموس : يعيش فى المستنقعات، والمياه الراكدة، والبيوت السيئة التهوية، وينقل الملاريا، والحمى الشوكية والحمى الصفراء.

تعاليم الإسلام الوقائية عند حدوث المرض المعدى

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا سمعتم بالوباء بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع الوباء بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ».

وهذا الحديث يتمشى مع أحدث الوسائل الصحية، فإذا وقع وباء مثل الكوليرا فى بلد، فإن وزارة الصحة تفرض حصارا على هذا البلد، فلا تسمح لأحد بالخروج منه، ولا تسمح لأحد بالدخول إليه إلا إذا كان من رجال الصحة للمساعدة فى القضاء على المرض.

وقد حدث أن كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يريد زيارة الشام مع كبار الصحابة، فخرج أبو عبيدة حاكم الشام إليه ليستقبله فى الطريق، وليخبره بأن فى الشام وباء الطاعون. وتشاور عمر مع أصحابه، فمنهم من طالبه بالمضى فى طريقه

إلى الشام وعدم الهرب، ومنهم من طالبه بالرجوع وعدم دخول الشام، حتى جاء أحد المسلمين وأخبرهم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا سمعتم بالوباء فى أرض فلا تقدموا عليه . . . . وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه » . وعندما سمع عمر الحديث عاد إلى المدينة، وأمر أهل الشام بعدم الخروج، إلى أن ينتهى الوباء .

ومن تعاليم الإسلام الوقائية عزل المريض بالمرض المعدى فى البيت أو المستشفى، وعدم اختلاطه بالآخرين إلى أن يتم شفاؤه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يرد ممرض على مصح » أى لا يدخل المريض على الأصحاء، حتى لا ينقل إليهم العدوى .

إن هذه التعاليم السامية سبق إليها الإسلام فأمر بالتداوى وعلاج المرض، والدعاء للمريض بالشفاء، قال صلى الله عليه وسلم : « تداووا عباد الله فإن الله عز وجل لم ينزل داء إلا وأنزل له دواء » .

الباب الرابع

الأخلاق والفلسفة البيئية

أخلاق الإسلام

الإسلام دين الوحدة والجماعة، فالإله سبحانه وتعالى واحد أحد، يأمر الناس بالخير والمعروف والإحسان، ويحث على التواصل والتراحم، وينهى عن الفحشاء والمنكر.

وقد حفل القرآن الكريم والسنة المطهرة بالدعوة إلى صلة الرحم، وإكرام الجار، ورعاية اليتيم والمسكين، وكفالة الأرملة والضعيف، وإعالة المحتاجين، وزيارة المرضى، وتخفيف البؤس عن البائسين.

ومن كل هذا نجد أن الإسلام دين التواصل والتراحم، والتعاطف ومساعدة الآخرين. هذه المبادئ الكريمة التى تحث على مساعدة المحتاجين، تساعد على رقى البيئة وتطورها، وتقاوم إفساد البيئة وترديها، لأنها مبادئ التعاون على الخير والمعروف. قال تعالى:

﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ (المائدة: ٢).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا﴾ (سورة النساء: ٣٦).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى

القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون﴾.
(سورة النحل: ٩٠).

أبواب الخير

لقد تعددت أبواب الخير فى الإسلام، وهدفها ومقصدها رعاية المجتمع وتكافله، وتراحم الناس وتعاطفهم وتعاونهم، ولا شك فى أن هذا يساعد على سلامة البيئة ونظافتها، وتنقيتها من الشوائب والأضرار. وفى كتب الحديث والفقه والأخلاق لجد أبوابا متعددة للبر ومكارم الأخلاق، ينقل فيها الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والآثار التى رويت عن السلف الصالح. وأمامى الآن كتاب «تهذيب الأخلاق» تأليف العلامة عبد الحّى فخر الدين الحسنى، تقديم «أبى» الحسن على الحسنى الندوى، الطبعة الثانية للمكتب الإسلامى فى دمشق وبيروت.
وفيه أبواب متعددة عن مكارم الأخلاق منها :

- باب فى الكسب والعمل باليد.
- باب فى التعفف والإجمال فى الطلب.
- باب فى الإنفاق فى وجوه الخير.
- باب فى الإيثار والمواساة.
- باب فى النصح وإيصال الخير.
- باب فى الإصلاح بين الناس.
- باب فى بر الوالدين.
- باب فى صلة الأرحام.
- باب فى تربية الأولاد.
- باب فى حسن المعاشرة بين الزوجين.
- باب فى حق الجار والوصية به.

- باب فى إكرام الضيف .
- باب فى الشفقة على خلق الله من الرعية .
- باب فى الرحمة على البهائم .
- باب فى الآداب .
- باب فى حسن الخلق والتواضع .
- باب فى الأمانة والصدق والحياء .
- باب فى الصبر على البلاء .
- باب فى الشكر، والتوكل، والتقوى، والتوبة، والاستغفار .

وقريب من هذا نجده فى كتاب (دستور الأخلاق فى القرآن) للدكتور محمد عبدالله دراز طبع مؤسسة الرسالة فى بيروت . حيث استعرض الأخلاق الفردية، والأسرية، والاجتماعية، والدينية، وأمهات الفضائل الإسلامية .

وفى كتاب (الإسلام والإنسان المعاصر) تأليف : الدكتور محمد ظفر الله خان - طبع دار النهضة العربية، فى بيروت . (نجد الفصل السادس عشر منه عن (الإسلام والمجتمع)، تحدث فيه عن عناية الإسلام بالإيمان، واختيار الزوجة، وتربية الأولاد ورعايتهم، والتحلى بالصدق والبعد عن الكذب، وعنايته بحقوق الوالدين، والتسامح والغفران، ونهى الإسلام عن السخرية والاستهزاء بالآخرين، وحثه على رعاية المعوقين، وكفالة اليتامى والمحتاجين .

ونستطيع أن ننقل نصوصا متعددة فى الحث على التمسك بالأخلاق الإسلامية، ومكارم الأخلاق .

وحسبنا قول الله تعالى يمدح نبيه الكريم : ﴿ وإنك لعلى خُلُق عظيم﴾ (سورة القلم : ٤) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » . .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « إن أحبكم إلى وأقربكم منى منازل يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا، الموطئون أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون » رواه الترمذى .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « من كان له فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له . فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل » رواه مسلم .

وقال تعالى : ﴿ ويُؤْثرون على أنفُسهم ولو كان بهم خَصَاصة ﴾ (سورة الحشر : ٩) .

وقال سبحانه : ﴿ ويُطعمون الطعام على حبِّه مسكينا ويتيما وأسيرا * إنما نُطعمكم لوجه الله لا نريدَ منكم جزاء ولا شُكورا ﴾ (سورة الإنسان : ٨ ، ٩) .

وقال تعالى : ﴿ وسيُجنَّبها الأتقى * الذى يؤتى ماله يتزكى * وما لأحد عنده من نعمة تُجزَى * إلا ابتغاءَ وجه ربه الأعلى * ولسوف يَرضى ﴾ (سورة الليل : ١٧ - ٢١) .

التربية الإسلامية والبيئة

عُنى الإسلام بغرس أصول الإيمان بالله تعالى وملائكته ، وكتبه ورسله واليوم الآخر فى نفوس المؤمنين ، فنجد المؤمن صادقا فى إيمانه بالله تعالى ، مؤديا الفرائض ، مبتعدا عن الفحشاء والمنكر وسائر المخالفات ، متحليا بغضّ البصر والاستقامة ، متأدبا بآداب القرآن ، ومنها الصفح الجميل ، والهجر الجميل ، والرحمة بعباد الله ، والإيمان بالقضاء والقدر ، خيره وشره حلوه ومرّه ، وقد وجه الإسلام الشباب وجهة عملية ، وحثهم على عمل الخير والمعروف ، والتنافس فى الجهاد وخدمة البيئة ، والتواصل مع المجتمع ، فالشباب فى كل أمة عماد نهضتها ، وفى كل نهضة سر قوتها ، وحامل رايتها . قال تعالى : ﴿ إنهم فِتية آمنوا بربهم وزدناهم هُدًى ﴾ «سورة الكهف : ١٣» .

دور الشباب فى تنمية وحماية البيئة

إن مفهوم البيئة فى صورة مبسطة هو كل ما يحيط الإنسان من ماء وهواء وتربة ومحيطات طبيعية ، وإن ما يشوه صورتها الطبيعية هو تراكمات النشاط الإنسانى

صناعيا وزراعيا وتجاريا، وإن الشباب فى المجتمع هو الأمل في مستقبل زاهر، إذا أحسن استخدامه وتوجيهه، فإنه القادر على التصدى لتنمية وحماية بيئته، إذا اهتممنا بتوعيته، وتثقيفه تثقيفا بيئيا، وأشركناه فى مشروعات ريادية فى خدمة البيئة بهدف تنميتها وحمايتها.

والسؤال الآن لماذا نهتم بدور الشباب فى خدمة البيئة ؟ (١)

لذلك أسباب :

أولها : وجود الشباب فى مواقف جماعية فى مختلف مراحل عمره يتطلب منه أن يحيا فى الجماعة وللجماعة، فهو يعيش فى جماعة الأسرة، ثم فى جماعة المدرسة، ثم جماعة الكلية أو المصنع، ويتطلب منه ذلك أن يرتبط بمصائر هذه الجماعات ومصالحها وحمايتها.

ثانيها : احتياجات البيئة وسرعة تغير الظروف الاجتماعية فيها، مما يتطلب إشراك الطاقات المختلفة - وأهمها الشباب - فى مساهمة تقدمها وتنميتها.

ثالثها : أهمية خدمة البيئة كمظهر من مظاهر الولاء الجماعى للمجتمعات والارتباط بالحياة عن قرب.

رابعها : توافر وقت الفراغ للشباب بما يسمح لهم من وقت وقوة فيما يساهمون فيه من تقديم الخدمات العامة أو يقومون بها كجزء من حياتهم.

خامسها : إن مشاركة الشباب فى مشروعات تنمية البيئة فى كل خطواتها هى فيصل نجاح أو فشل جهود التنمية، ومن هنا لا يجب أن تنحصر حركته داخل أوقات الفراغ، بل لا بد أن ينطلق فى تأثيره على الشباب داخل الحقل والمصنع والمعهد والنادى.

سادسها : إن خدمة البيئة وتنميتها تعتمدان اعتمادا كليا على الجهود الأهلية والشبابية، وتلعب القيادات الشعبية فيها دورا مؤثرا، كما أنها عمل لفريق كبير

---

(١) راجع البيئة والتلوث فى منظور الإسلام دار الصحوة - القاهرة، ودور الشباب فى تنمية وحماية البيئة للأستاذ حسنى شكرى صالح - مطبوعات المكتب العربى للشباب والبيئة.

يشارك فيه الطبيب والمهندس والزراعى، وناظر المدرسة، ورجل الدين، والاقتصادى والمعمارى . . . كل فى مجال تخصصه وفى إطار من التنسيق والشمول والتوازن .

والسؤال الثانى : ما الذى نهدف إليه من خدمة البيئة وحمايتها ؟

والجواب :

تهدف خدمة البيئة فى شتى صورها إلى استثمار وتنمية جهود الشباب، وذلك :

١ ـ خلق الطبيعة المناسبة للعمل الجماعى، ودعم روح التعاون والتضامن بين أفراد المجتمع وجماعته .

٢ ـ العمل على احتواء معظم أفراد المجتمع وزيادة مشاركتهم فى أعماله .

٣ ـ العمل على تجديد فكر القيادات العاملة فى مؤسسات المجتمع ومنظماته وتدريبهم، مع العمل على اكتشاف واختيار قادة جدد للمساعدة فى أعمال تنمية البيئة .

والسؤال الثالث : ما أنواع الخدمات التى يمكن أن يساهم فيها الشباب ؟

والجواب :

هناك أنواع متعددة من الخدمات التى يمكن للشباب أن يؤديها للنهوض بمجتمعه وبيئته، منها :

أولا : الخدمات الثقافية :

تنظيم ندوات ثقافية ـ إحياء مناسبات قومية ـ محاربة عادات ضارة ـ برامج التثقيف البيئى ـ تعليم القراءة والكتابة .

ثانيا : الخدمات الصحية :

نشر الوعى الصحى ـ نشر عادات صحية نافعة ومحاربة الضار منها ـ الاشتراك فى الحملات الصحية ـ إبادة الذباب والبعوض والحشرات الضارة ـ الاشتراك فى تعلم وتعليم الإسعافات البسيطة ـ حملات النظافة .

ثالثا : الخدمات الاجتماعية :

المشاركة فى تنظيم الحملات الإرشادية لمكافحة العادات الاجتماعية الضارة والاشتراك فى أندية وجمعيات تعاونية ـ المساهمة فى تنفيذ برامج المؤسسات الاجتماعية، وتبصير الأهالى للاستفادة منها، ودراسة مشروعات تخدم المجتمع المحلى وتسد النقص فيه، وتساعد على النهوض بها ـ معاونة الهيئات الحكومية والأهلية فى أداء رسالتها.

رابعا : الخدمات الاقتصادية :

المساهمة فى الدعوة لتحسين أساليب الإنتاج الزراعى والحيوانى والصناعى، واستخدام الوسائل الحديثة فى الزراعة ـ نشر فكرة التصنيع المحلى.

خامسا : الخدمات العمرانية :

الإنارة ـ إصلاح الطرق ـ ردم البرك ـ تشجير الطرق ـ إنشاء النوادى الاجتماعية ـ المساهمة فى عمليات البناء ـ إنشاء الكبارى ـ إعداد الملاعب ـ عمل محطات للأتوبيس فى مداخل القرى ـ المساهمة فى بناء المؤسسات الاجتماعية.

سادسا : الخدمات العامة :

فى حالة الكوارث مثل الزلازل والسيول وانتشار الأوبئة والحروب وما تتطلبه هذه الوحدات من مختلف الخدمات الصحية والعمرانية والاجتماعية.

والسؤال الرابع : كيف نعد الشباب للاشتراك فى خدمة البيئة وحمايتها ؟

والجواب :

١ ـ يتم إعداد الشباب كى يسهموا فى خدمة بيئتهم، وذلك عن طريق إعدادهم فنيا وفقا لاختصاصاتهم، على أن يقوموا هم بأنفسهم بعد هذا الإعداد بمسئولية الدعوة للخدمة، ثم الاشتراك فى التنظيمات الخاصة بهذه الخدمة.

٢ ـ إتاحة الفرصة للشباب لتدارس أحوال بيئته وإشعاره بالمسئولية الاجتماعية الملقاة عليه قبل مجتمعه، وتدريبه على القيام بألوان من الخدمات والمشروعات التى تنهض بالبيئة.

٣ ـ توفير قيادة صالحة للشباب توجه لمشروعات الإنشاء والتعمير والخدمة العامة.

٤ ـ أن يكون للمدرسة ولمركز الشباب دور إيجابى فى إعداد الشباب للاشتراك فى مشروعات خدمة البيئة وحمايتها بما يتناسب مع سنهم وقدراتهم، ويكون هدفها التدريب العملى على أعمال هذه الخدمة.

٥ ـ أن تنظم الدولة من خلال مؤسساتها فى المجتمعات المحلية البرامج والمشروعات العامة التى يشترك فيها الشباب.

٦ ـ أن تسن الدولة التشريعات التى تعطى الشباب الفرصة للمساهمة فى مشروعات خدمة البيئة.

٧ ـ لا تمنح الدولة إجازات علمية إلا لمن يكون قد أدى ضريبة العلم وزكاة الوطن بالمساهمة فى أعمال خدمة البيئة وحمايتها، وذلك وفق التشريعات والنظم الاجتماعية التى تضعها الدولة.

٨ ـ أن تكرم الدولة المتميزين فى تنمية وحماية البيئة.

٩ ـ تنمية الوعى البيئى عن طريق غرس أخلاقيات اجتماعية عصرية ترتبط باحترام البيئة والعمل على مكافحة ما يصيبها من تلوث، وأن يحس الشباب ويشعر بمدى ارتباطه بالبيئة التى يعيش فيها، وأن حقوقه فى البيئة يقابلها دائما واجبات نحو البيئة، فليست هناك حقوق دون واجبات.

١٠ ـ الارتباط بالبيئة والمجتمع فى أفراحه وأتراحه، والعمل بروح الفريق «فالله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه».

الباب الخامس

الهـــــواء

الهـــواء

الهواء نعمة كبرى من نعم الله تعالى فى هذا الكون، ولا تقل أهمية الهواء عن الماء والغذاء. ولشدة حاجة الإنسان والحيوان إليه، فإن الله جعله مشاعا بين الناس، يتنفس منه الغنى والفقير، والخفير والأمير.

يقول شوقى :

وأن الشمس فى الآفاق تغشى	حمى كسرى كما تغشى اليبابـا
وأن المـــاء تـــروى الأسد منه	ويترع مـــن تلعلعهـا الكـلابـــا
وســرى الله بينـكم المنايـــا	وإن يك خص أقـــواما وحـــابـــا
وارســـل عـــائلا منكم يتيمـا	دنا مـن ذى الجلال فكان قابـــا

ويجب المحافظة على هذا الهواء نقيا سليما، صالحا للتنفس، بعيدا عن التأثر بالملوثات الصناعية الضارة. فالتدخين مثلا له أثر كثير الضرر على الإنسان والرئة وسائر الأجهزة التى خلقها الله فى داخل الإنسان، وللتدخين أثره فى ضرر المحيطين بالإنسان، وضرره على الجنين فى بطن أمّه.

ونحن فى حاجة إلى نظام أخلاقى قيمى، يحث على التعاطف مع البيئة والعناية بنظافتها، والبعد عن تلويث البيئة بأدخنة المصانع، وآثار المعامل، فضلا عن آثار التفجير الذرى الذى يلوث البحر والجو رالبرّ، ويضر بالإنسان والحيوان وسائر الأكوان.

وللهواء أثره فى استمرار الحياة والمحافظة عليها، وللهواء وظائف أخرى قد لا تظهر للإنسان، إلا أنها مقصودة لله عز وجل.

قال تعالى : ﴿وأرسلنا الرياح لواقحَ﴾ (الحجر : ٢٢).

وقال سبحانه : ﴿الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا﴾ (الروم : ٤٨).

وقال سبحانه : ﴿وهو الذى يرسل الرياح بُشرا بين يدى رحمته حتى إذا أقَلَّت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميِّت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات﴾ (الأعراف : ٥٧).

ومن هذه الآية نحس أن هناك تكاملاً فى هذا الكون، فالهواء يحرك الرياح، والرياح تحرك السحاب والسحاب يتسبب فى إنزال المطر، والمطر يتسبب فى إنبات النبات، وإحياء الأرض، وإعاشة الإنسان والحيوان، وسائر المخلوقات.

والغلاف الجوى المحيط بالإنسان له أثره فى سلامة الحياة ونظافتها، وإفساده إفساد لهذه الحياة، والله تعالى يأمر بالإصلاح وينهى عن الفساد.

قال تعالى : ﴿ولا تُفسِدوا فى الأرض بعد إصلاحها﴾ (الأعراف : ٥٦).

وقد استخلفنا الله فى الأرض لعمارتها وإصلاحها وتنميتها، وتحقيق أوامر الخالق، التى تحث على التعاون والخير، وتنهى عن الفساد والشر.

تلويث الهواء :

يرجع تاريخ تلويث الهواء إلى اليوم الذى بدأ فيه الإنسان استخدام الوقود للأغراض المختلفة، ثم تضاعف بازدياد النشاط الصناعى، وتطور وسائل المواصلات، وازدحام المدن بالسكان.

« وقد وجد أن وسائل النقل وحدها، هى المسئولة عن ٦٠٪ من تلويث الهواء، حيث تجوب شوارع العالم عدة بلايين من السيارات، تستخدم كميات هائلة من الوقود »[1].

« ويتكون الهواء الجاف المحيط بنا من النيتروجين بنسبة ٧٨٪، والأوكسجين

---

(١) المنهج الإسلامى لعلاج تلوث البيئة، د. أحمد عبد الوهاب عبد الجواد، الدار العربية للنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ ص ١٤٥ .

بنسبة ٢١٪، ومن كميات ضئيلة من غازات أخرى، وبعض الغازات المشعة، ونسبة من بخار الماء تختلف باختلاف درجة الرطوبة » [١].

وقد احتفظ الهواء المحيط بنا على مر العصور بتركيبه ثابتا بالرغم من النشاطات الحيوية التى تجرى على سطح الأرض، فالإنسان، وكذلك الحيوان، يستهلك الأوكسجين بعملياته الحيوية، ويعطى ثانى أكسيد الكربون، ولكن النبات يستعمل ثانى أكسيد الكربون فى عمليات البناء الضوئى ويحتفظ لنفسه بالكربون ويعيد إلى الهواء غاز الأوكسجين. فإذا زادت نسبة ثانى أكسيد الكربون فى الهواء، فإن الفائض يذوب فى المسطحات المائية، كالبحار والمحيطات، ويتفاعل مع أملاح الكالسيوم الذائبة فيها، ويترسب على صورة كربونات الكالسيوم.

تلك أمثلة محدودة لبعض التفاعلات التى تؤدى إلى حالة التوازن التى يحتفظ الهواء الجوى بفعلها، ومن ثم يحتفظ بتركيبه ثابتا على مر الأزمان.

ومع ذلك فإن وجود بعض المكونات الطبيعية للهواء بنسب ضارة أو وجود مواد غريبة فى الهواء يعتبر تلوثا.

مصادر تلوث الهواء [٢]:

تنقسم مصادر التلوث إلى مجموعات عديدة منها :

١ ـ مصادر طبيعية كالعواصف الترابية والبراكين، وحرائق الغابات.

٢ ـ مصادر من صنع الإنسان وتشمل :

(أ) الصناعة، وخاصة الصناعات الكيمياوية والسماد والبتروكيمياويات والأسمنت والحديد والصلب والسكر وغيرها.

(ب) وسائل المواصلات كالسيارات التى تستعمل البنزين والسولار، أو القاطرات التى تسير بالفحم أو منتجات البترول.

---

(١) انظر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مرجع فى التعليم البيئى لمراحل التعليم العام صفحة ٣٧٨ وما بعدها.

(٢) انظر المرجع السابق، صفحة ٣٧٩ وما بعدها.

(جـ) محطات القوى التى تستعمل أنواعا تقليدية من الوقود .

(د) الأنشطة المنزلية التى تستعمل معها نفس الأنواع التقليدية من الوقود ، فضلا عن عمليات التخلص من المخلفات بحرقها .

٣ ـ التلوث بالميكروبات والفطريات المختلفة ، ويؤدى ذلك إلى انتشار بعض الأمراض ، حيث تستطيع بعض الميكروبات أن تتخلل الأجسام عن طريق الجهاز التنفسى ، فضلا عن أن الفطريات تساعد فى أمراض الحساسية .

٤ ـ التلوث بالمواد المشعة : فمنذ أن استخدمت الذرة ، فقد ظهرت ولا تزال تظهر علامات خطيرة على الإنسان والنبات والحيوان والجماد . ومن أمثلة ذلك قيام الولايات المتحدة الأمريكية بصنع ثلاث قنابل ذرية ، فى منتصف عام ١٩٤٥ ، حيث استخدمت إحداها فى أول تجربة ذرية ، وأسقطت الأخريين فوق كل من هيروشيما وناجازاكى فى ٦ ، ٩ من أغسطس عام ١٩٤٥ ، وبهما قتل أكثر من مائة ألف شخص ، ودمرت تماما أكثر من ٧٥٪ من مبانى البلدين ، وجرح وأصيب حوالى نصف مليون مواطن ، وكانت إصابات ٢٠٪ منهم بالأمراض الإشعاعية المختلفة ، وما زالوا يعانون منها ويموتون تباعا حتى الآن .

وفضلا عن ذلك ، فإن المواد الإشعاعية تنتقل إلى السلسلة الغذائية ومنها إلى الإنسان ، فيتم بها تلويث التربة والنباتات ، والأسماك ، والحيوانات ، والمنتجات الحيوانية . . . ومنها ينتقل التلوث إلى الإنسان .

وجدير بالذكر أن الأشعة تحطم الخلية ، وتسبب سرطان الدم والجلد والعظام والغدد ، وتؤثر فى الصفات الوراثية ، وتؤدى إلى عدم الإخصاب أو ضعفه وموت الأجنة ، فضلاً عن التشوه الخلقى .

أرأيت تلوثا أبعد فى آثاره من التلوث بالمواد المشعة ؟

آثار تلوث الهواء:

يؤثر تلوث الهواء على الإنسان والحيوان والنبات ، فضلا عن الآثار الاقتصادية والاجتماعية السلبية ، فقد يؤدى التلوث مباشرة إلى الوفاة أو المرض الحاد ، وقد تحدث آثار مزمنة أو متأخرة ، ومنها تهيج العينين ، واضطرابات الجهاز التنفسى .

«كما قد يتأثر الحيوان بالتلوث، إما تأثيرا مباشرا بالوفاة أو المرض الحاد، وإما تأثيرا غير مباشر كما هو الحال فى تغذيته على نباتات ترسبت عليها مركبات الفلور التى تكثر فى المناطق المجاورة لمصانع الألمنيوم ومصانع الأسمدة الفوسفاتية، ومعها تتآكل أسنان الحيوان، ويصاب بالهزال وينقص فى إدرار اللبن.

كما تتمثل آثار التلوث على النباتات فى قصور نموه ونقص محصوله.

إن آثار التلوث، هذه وتلك، ذات أبعاد اقتصادية واجتماعية خطيرة تنعكس على الهيكلين الاقتصادى والاجتماعى للدولة، ومن ذلك نجد أن غياب الإنسان عن عمله لمرضه يزيد من نفقات الإنتاج، وينقص من الكفاءة الإنتاجية، والإنتاج عموما، كما أن تلف المحصولات وإصابات الحيوانات تضعف من المقدرة الإنتاجية للدولة عموما، وهو ما يتضمن زيادة فى نسبة الفاقد، وهدرا للمواد الاقتصادية المختلفة [1]».

---

(١) د. عبد الهادى على النجار ـ الإسلام والاقتصاد. عالم المعرفة ـ الكويت ص ٢٧٣.

الباب السادس

حمـــاية الإنسـان
والبيئة من التأثيرات الضارة

حماية الإنسان والبيئة من التأثيرات الضارة

حرص الإسلام على تنمية المنافع، ودرء المفاسد، فأمر بعمارة الأرض وزراعتها، وتحسين التربة وخصوبتها، كما حذر الإسلام من جميع أنواع الفساد ﴿والله لا يحب المفسدين﴾ (سورة البقرة: ٢٠٥).

ومن أمثلة ذلك ما يأتى :

١ ـ الفضلات والعوادم ومواد التنظيف، والمواد السامة والضارة:

إن استخدام التقنية المتطورة، ترتب عليه تقدم الصناعة، وتراكم الفضلات والعوادم، «والاستمرار فى التجارب النووية، وبناء المفاعلات، واستخدام الكيمياويات دون حساب، سوف تتأثر به كل الكائنات الحية، وتتعرض للكوارث والفناء. وما يحدث الآن للبيئة، هو نتيجة حتمية، لعدم إدراك الناس لعواقب الممارسات الخاطئة، وآثارها السلبية على البيئة»[١].

وينبغى معالجة الفضلات والعوادم عند مصادرها، وبأحسن الوسائل، فلا يجوز إلقاء فضلات مصنع فى نهر جار، يشرب منه الإنسان أو الحيوان، ويصاب من جراء ذلك بأضرار متعددة، وفى الحديث « لا ضرر ولا ضرار ».

٢ ـ المبيدات:

يجب أن يكون استعمال المبيدات الحشرية والنباتية،.وغيرها من المبيدات، مقيدا بعدم إحداث ضرر بالإنسان، أو بيئته عاجلا أو آجلا .

---

(١) أضواء على البيئة د. عبد الحكيم بدران ـ مكتب التربية العربى لدول الخليج ص ٣٥ .

وتقتضى القيم والقواعد الإسلامية، الأخذ بأخفّ الطرق، وأقلها ضررا عند مقاومة الهوام، فينبغى تقديم الطرق الوقائية والحيوية، والمواد الطاردة غير القاتلة، والمبيدات القابلة للتحلل بيولوجيا، على غيرها.

كما ينبغى استعمالها بحساب دقيق حذر، وذلك من أجل حماية الإنسان وحرثه وبهائمه، وبأقصى فعالية، وأقل ضرر ممكن لخلق الله تعالى.

جاء فى كتاب أضواء على البيئة ما يأتى :

«ومن أهم مصادر التلوث اليوم الاحتراق المتزايد للوقود الأحفورى نتيجة للزيادة الهائلة فى أعداد السيارات، والتوسع فى التصنيع وبناء محطات القوى الكهربائية. وبالإضافة إلى الوقود الأحفورى، تمثل الكيمياويات أخطر مصدر للتلوث، فالناس يستخدمون الآن سبعين ألف مادة كيمياوية، يضاف إليها ألف مادة تصنع سنويا، وتمثل هذه الكيمياويات مصدر خطر كبير على صحة الناس، والكائنات الحية الأخرى، على الرغم من فوائدها الكثيرة. . .

فالعناصر مثل الزنك والنحاس والحديد ضرورية جدا لحياة الإنسان، ولكن وجودها بنسب مرتفعة نسبيا، سواء فى الهواء أو الماء أو التربة، وبالتالى فى الغذاء يضرّ بحياة الإنسان، كما أن الأسمدة والمبيدات التى رفعت الإنتاج الغذائى، جعلت البيئة تدفع غاليا من جراء استخدامها.

ويتعرض الإنسان للأخطار عند استخدامه للمواد الدوائية، التى تسبب أضرارا بالغة، فبعضها يسبب تشوه الجنين، ومن المحتمل أن يؤدى التلبسترول، إلى إصابة الجيل الجديد من البنات، بسرطان المهبل، حين يبلغن سن العاشرة، إذا تناولته الأم كعلاج لمنع الإجهاض.

ولا تقل الإضافات الغذائية، التى تكسب الأطعمة لونا، أو نكهة طيبة، أو للمحافظة عليها صالحة لفترة أطول، لا تقل خطورة عن المواد الكيمياوية الأخرى التى ثبت ضرر الكثير منها»[1]. .

---

(١) أضواء على البيئة إعداد د. عبد الحكيم بدران، الناشر مكتب التربية العربى لدول الخليج العربية الرياض ١٩٩٢م ص٤٨ ـ ٤٩ بتصرف وتلخيص.

٣ ـ المواد المشعة :

وينطبق ما قلناه سابقا على المواد المشعة، فإن تأثيرها فى التسميم بالغ الخطورة، ويبقى إلى وقت طويل، ومن هنا كان لابد من توقى ما قد ينتج عن استعمالها من آثار ضارة بالإنسان والنظم البيئية مع ضرورة التخلص من نفاياتها بطريقة صحيحة، حيث يتطلب وقاية عالية، لدرء النفايات الذرية، ذات المواد المشعة، التى غالبا ما يتسبب فيها تعطل المصانع، أو إهمال القائمين عليها، كما ينبغى تجنّب التأثيرات الضارة الناجمة عن التفجيرات الذرية.

٤ ـ الضوضاء :

« فإذا كانت أكثر الاستخدامات الصناعية والإعلامية والمواصلات، تصحبها غالبا الضوضاء، فلابد من البحث والعمل لتجنب هذه الضوضاء أو تقليلها، ذلك أن الضوضاء الصاخبة لها تأثيرها الضار على الإنسان، وعناصر البيئة الحية من حوله، فلابد من دفع هذا الضرر قدر الإمكان، وبجميع الوسائل طبقا لما جاء فى القواعد التشريعية الإسلامية»[١].

٥ ـ المسكرات والمخدرات الأخرى :

من الواضح أن للمسكرات والمخدرات تأثيرا ضارا على صحة الإنسان الجسمانية وصحته النفسية، وبالتالى على نفسه وعقله ونسله وعمله، وماله وعرضه ودينه.

«فلقد ثبت اليوم بما لا مجال معه للشك، أن الأضرار الصحية والاجتماعية والنفسية للمسكرات والمخدرات، أضرار خطيرة وجسيمة، ولذلك كان تحريم الإسلام للمسكرات والمخدرات، بجميع أنواعها وأشكالها، وبكل ما يتعلق بها ويساعد على إنتاجها وترويجها، نموذجا لاهتمام التشريع الإسلامى منذ أربعة عشر قرنا، بحماية الإنسان والمحافظة على بيئته الاجتماعية والطبيعية من كل عوامل الفساد والإضرار والتلوث بجميع أنواعه»[٢].

---

(١) حماية البيئة فى الإسلام ـ الاتحاد العالمى للصون بالتعاون مع مصلحة الأرصاد وحماية البيئة بالسعودية ص١٨ .

(٢) حماية البيئة ـ مرجع سابق ص١٩ ، ويمكن التوسع فى هذا الموضوع ، وتفصيل أنواع المسكرات والمخدرات ، وأثر تعاطيها على شباب الأمة ومستقبلها .

٦ ـ الكوارث الطبيعية :

ينبغى التنبيه والاحتياط للتقليل من تأثيرات الكوارث الطبيعية، على الإنسان والبيئة الطبيعية، كالفيضانات والسيول والزلازل والبراكين، والعواصف والحرائق والتصحر، والآفات، والأوبئة، وما إلى ذلك. ومن المعلوم أن مما يزيد من حدة الكوارث الطبيعية الأعمال البشرية، حيث إن خسائر النفوس والأموال تزيدها الممارسات الخاطئة فى نواحى العمارة والبناء، واستعمالات الأراضى غير المناسبة، وعلى هذا يمكن تخفيف تأثير هذه الكوارث، عن طريق التخطيط المسبق الذى يراعى ظروف الطبيعة، فينبغى ألا يسمح بالتصرفات والممارسات غير المناسبة، فى المواقع التى تنطوى على مخاطر حقيقية أو محتملة على حياة الإنسان أو صحته، وفى المواقع الشديدة الحساسية من ناحية الإخلال بالتوازن البيئى فيها.

إن حماية الإنسان وصيانة نفسه وماله ومصالحه واجب. و «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»، وتؤكد الشريعة أن «الضرر يزال» و «الضرر يدفع قدر الإمكان»، مع مراعاة أن التدابير الإصلاحية يجب ألا تؤدى إلى تأثيرات جانبية ضارة ضررا مماثلا وفقا لقاعدة: «الضرر لا يزال بمثله» [1].

---

(١) المرجع السابق.

الباب السابع

القواعد الشرعية لحماية البيئة

واجبات الفرد والجماعة

لم يقتصر الإسلام على تعداد الكثير من الموارد الطبيعية، فى هذا الكون، ولم يكتف بأن يبين لنا أهميتها، والدور الحيوى الذى تقوم به، بل جاوز ذلك إلى الإشارة إلى ضرورة حماية هذه الموارد، لتبقى ضمانة للأجيال القادمة، كما كانت ضمانة للأجيال السابقة.

ويجب على كل فرد مسلم، وعلى الأمة الإسلامية، السعى بإخلاص لتحقيق مصلحة الجميع، « فأينما توجد المصلحة فثمّ شرع الله ».

واجب الأفراد :

إن حماية البيئة ومواردها، والمحافظة عليها وتنميتها، واجب دينى شخصى، يلتزم به كل فرد مسلم، بموجب مسئوليته الفردية عن رعاية نفسه ومجتمعه تجاه ربّه.

قال تعالى : ﴿**وأحسن كما أحسَن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين**﴾ (سورة القصص : ٧٧).

ويجب قيام جماعة من أهل الخبرة والمعرفة، بتوعية الأفراد بكل الوسائل، وعلى جميع المستويات، إلى الالتزام بالآداب والأخلاق الإسلامية، فى التعامل مع الطبيعة والبيئة ومواردها، استثمارا وانتفاعا وتنمية، ويكون ذلك بتذكيرهم بواجباتهم الدينية نحو ما يأتى :

١ - عدم التبذير والإسراف فى استخدام الموارد.

٢ - عدم تعطيل الموارد، وعدم إتلاف أى شىء منها بدون وجه مشروع.

٣ - عدم الإضرار بالبيئة الطبيعية، وعدم إفسادها أو تلويثها بأى وجه من الوجوه.

٤ - تعمير الأرض، وتحسين الموارد الطبيعية وحمايتها، وإصلاح التربة وتنقية الهواء والماء.

واجب الأمة :

١ - تفهّم مقاصد الشريعة الإسلامية، التى تقرر أن الله وحده هو مالك الأرض وما فيها، وأن العباد لا يملكون سوى الانتفاع بها على الوجه المأذون فيه شرعا [١]. فكل الأموال والموارد أمانة عند الناس، لاستعمالها فى حدود المقاصد الربانية منها.

٢ - حق الانتفاع بالموارد البيئية كالماء والكلأ والنار، والغابات والأسماك والهواء، وأشعة الشمس، هو حق مشترك بين أفراد المجتمع، ومن حق كل فرد أن ينتفع من المورد المشترك، بقدر حاجته دون أن يعطل أو يبطل حق انتفاع الآخرين.

٣ - إن تدخل ولاة الأمور لتحقيق المصالح العامة، ودرء المفاسد، أمر مقرر فى الشريعة الإسلامية، بل هو واجبهم الأصلى، وحدود هذا التدخل، مضبوطة فى السياسة الشرعية، بالمقاصد العامة للتشريع الإسلامى، وبالمصالح الحقيقية المشروعة، المنوط بهم تحقيقها، إذ القاعدة الكلية هى، « تصرّف الإمام على الرعية منوط ومرتبط بالمصلحة ».

٤ - تقيّم الأمور كلها فى الإسلام على أساس ما تؤدّى إليه، من المصالح والمفاسد، فرجال التخطيط والتصميم والإدارة المسلمون، عليهم دائما أن يتوخوا مصلحة الخلق كافة. جاء فى كتاب السياسة الشرعية لابن تيمية ما يأتى : «الواجب تحصيل المصالح وتكميلها، وتبطيل المفاسد وتقليلها، فإذا تعارضتا كان تحصيل

---

(١) كتاب القواعد لابن رجب (القاعدة ٨٦) .

أعظم المصلحتين، بتفويت أدناهما، ودفع أعظم المفسدتين، مع احتمال أدناهما هو المشروع».

٥ ـ إن مصالح الأمة والجماعة، تقدّم على المصالح الخاصة للأفراد والمجموعات المختلفة عند التعارض، ضمن قواعد الشريعة الكلية الآتية :

(تقديم حظ الكلى على الجزئى).

(ترجيح المصالح العامة على المصالح الخاصة).

(يتحمل الضرر الخاص لأجل دفع الضرر العام).

٦ ـ إن المصالح متدرجة فى الأهمية، فمنها مصالح ضرورية لا غنى عنها، للمحافظة على الدين والنفس والنسل والعقل والمال، ومنها مصالح حاجيّة لرفع الحرج والمشقة، ثم هناك مصالح تحسينية لتكميل الأخلاق وتزيين الحياة، وترجيح المصالح الضرورية على المصالح الحاجية أو التحسينية، عند تعارضهما أولى وأجدر، وكذلك ترجيح المصالح الحاجية على المصالح التحسينية.

٧ ـ إن المصالح مختلفة فى درجة التحقيق والثبوت، فهناك مصالح حقيقية واقعية قطعية، وهناك مصالح متوقعة ومحتملة وظنية، فالمصالح الحقيقية أو الواقعية أو القطعية تقدم فى رعايتها على المصالح المتوقعة أو المحتملة أو الظنية، إذا كانت ذات أهمية مماثلة.

٨ ـ يجب اعتبار قدرة الجماعات المختلفة على جلب مصالحها، دون احتياج منها لتدخل ولاة الأمور، أما الجماعات المستضعفة فيجب على ولاة الأمور، رعايتها وحمايتها كما جاء فى القاعدتين : «مصالح الفقراء أولى من مصالح الأغنياء» و«دفع المفاسد عن الفقراء أولى من دفع المفاسد عن الأغنياء»[1].

٩ ـ إن بعض التصرفات قد تحقق بعض المصالح ولكنها تجلب مفاسد أشد منها أو مفاسد مماثلة، والقاعدة فى ذلك هى : «درء المفاسد مقدم على جلب المصالح» إذ إن أولى درجات جلب المصالح هو درء المفاسد.

---

(١) قواعد الأحكام فى مصالح الأنام، لعز الدين بن عبد السلام.

ثالثا : واجب ولاة الأمور :

إن واجب ولى الأمر ومعاونيه من السلطات الإدارية والبلدية والقضائية، العمل على تحقيق المصالح العامة ودرء المفاسد عن المجتمع ككل، ومن ذلك حماية البيئة ومواردها والمحافظة عليها وتنميتها، ومن ناحية السبق التاريخى، نجد أن ولاية الحسبة من أهم المؤسسات الشرعية فى هذا المجال، باعتبارها جهة حكومية كانت تكلف تكليفا خاصا، بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فالمحتسب ينبغى أن يكون فقيها، عارفا بالأحكام الشرعية المتعلقة بوظيفته، وتتضمن مسئوليته مراقبة الأسواق والطرقات، والمبانى ومجارى المياه والحمى وغيرها، ومن ضمن هذه المسئولية الإشراف على المقاييس والمواصفات المتعلقة بالأمن والنظافة، وإزالة الفضلات والنفايات، ودرء الأخطار والأضرار، ومنع العدوان على الحمى، والنهى عن إيذاء الحيوانات، وإساءة معاملتها، وكان مسئولا عن تقدير الأضرار ووضع التعازير والعقوبات المناسبة لها، وإضافة إلى ذلك كانت له سلطة تقديرية واسعة لأخذ التدابير اللازمة لتحقيق المصالح العامة [١].

وهذه مبادئ يجب مراعاتها :

١ ـ إن المحافظة على البيئة واجب دينى وأخلاقى، وليس فى مقدور العلوم والتقنية وحدهما أن تحلا المشكلة البيئية.

٢ ـ إن التعاليم الأخلاقية لابد من تعزيزها بسلطان التشريع، والأمر والنهى ذى الفعالية والنفاذ.

٣ ـ لابد من تكامل حماية البيئة مع التعمير الحافظ من خلال النظم الاجتماعية، وينبغى أن تعود فوائد الموارد الاقتصادية، إلى من تحمل تكاليف المحافظة عليها.

٤ ـ ينبغى التطوير المستمر للمعرفة العلمية والمعرفة الفنية بالبيئة الطبيعية، ووسائل المحافظة عليها، وذلك عن طريق الأبحاث والمراقبة العلمية المتواصلة،

---

(١) حماية البيئة فى الإسلام، الاتحاد العالمى للصون ومصلحة الأرصاد وحماية البيئة بالسعودية ص٢٥ .

وينبغي نشر المعلومات الدقيقة على أوسع نطاق ممكن، وتضمينها في خدمات الإرشاد الزراعي، ومناهج التعليم الأساسي في المدارس والجامعات، حتى يتمكن الجميع من المشاركة الفعالة في المحافظة على بيئتهم.

٥ ـ إن الأعمال والمشروعات التي تجرى في بلد ما، لا يجوز أن تؤدى إلى إفساد البيئة أو تدهورها في بلد آخر، لأنه لا يجوز تحقيق النفع الخاص، بما يلحق الضرر المباشر أو غير المباشر بمصالح الآخرين.

٦ ـ يجب التنبيه إلى عدم جواز تعريض البيئة ومواردها الطبيعية إلى تدمير وإفساد، يتعذر إصلاحهما لأغراض حربية أو أي أعمال عدائية، ومن هنا فإن مقاصد الإسلام، تعزز كل سعي محلي وإقليمي ودولي في هذا المجال، وتدعو إلى تضافر الجهود في جميع الميادين لحماية بيئتنا وإصلاحها والمحافظة عليها.

خلاصة منهج الإسلام
فى الحفاظ على البيئة

ثبت بالدليل القرآنى أن الله سبحانه وتعالى قد استخلف الإنسان فى هذه الأرض وسخر له كل ما فى الكون، ليتمكن من العيش على الأرض التى مهدها له، وسخر الله للإنسان كل المخلوقات لينتفع بها، إلا أن الله سبحانه وتعالى حماية لهذه المخلوقات، وحفاظا على أمر التوازن البيئى، لم يجعل للإنسان مطلق التصرف، بل جعل لهذا التصرف فى مخلوقاته ضوابط عدة. . فتكفل الله سبحانه وتعالى أولا بحفظ النوع والسلالة لجميع المخلوقات، ثم نهى الإنسان عن أن يسعى فى الأرض فسادا يهلك الحرث والنسل، ونهاه كذلك عن الإسراف، ودعا القرآن الكريم المسلمين إلى التوسط والاعتدال فى أمورهم جميعا، فلا إفراط ولا تفريط.

ونهجت السنة النبوية منهجا خاصا فى الحفاظ على البيئة، تمثل هذا المنهج فى حث الرسول صل الله عليه وسلم للمسلمين على الاهتمام بالغرس والزرع، وذلك بأن ربط الغرس والزرع بالأجر. كذلك اهتمت السنة النبوية بالحيوانات وحمايتها وحسن معاملتها، واهتمت بصحة البيئة وكيفية الحفاظ عليها حتى نحيا فى بيئة خالية من الأمراض والأوبئة.

فلقد تعرض القرآن الكريم للبيئة فى كثير من الآيات، وقد أوضح الله سبحانه وتعالى الدور الذى يلعبه الإنسان فى حماية مكونات البيئة باعتباره خليفة الله فى الأرض. وقد سخر الله للإنسان كل ما فى الكون، من أرض ممهدة، وبحار وأنهار، وأنعام ومخلوقات يعلمها وأخرى لا يعلمها، ورياح بنوعيها : رياح التلقيح ورياح الأمطار، وأشجار وجنان.

وقد اتضح أن القرآن الكريم يسلك طريقتين فى الحفاظ على البيئة .

الطريقة الأولى : تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ النوع والسلالة لجميع المخلوقات ، وقد بدأ حفظ النوع والسلالة مع الطوفان فى عهد سيدنا نوح ، ويستمر هذا الحفظ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها بإذن الله .

الطريقة الثانية : الضوابط العديدة التى وضعها القرآن الكريم للإنسان فى التصرف فى مكونات البيئة والتى سخرها له جميعا ، ولكن هذا التسخير له ضوابط متمثلة فى إدراك وفهم المسلم أن كل هذه الأحياء والمخلوقات ما هى إلا أمم أخرى ، وقد خلقت لتؤدى دورا محددا فى هذه الحياة . . فمراعاة المسلم لهذا الأمر تجعله يتصرف فى مكونات البيئة بوعى تام .

والاتجاه الثانى الذى سلكه القرآن الكريم لضبط المسلم هو النهى عن الفساد فى الأرض والإسراف ، وذلك فى كثير من الآيات الكريمة .

كذلك السنة النبوية لم تغفل أمر البيئة . . فقد ورد الكثير من الأحاديث النبوية التى تلفت نظر المسلم إلى الاهتمام بأمر البيئة . . فقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على غرس الأشجار والزروع وحمايتها ، وعدم قطعها أو حرقها لغير مصلحة عامة . وقد ربط الرسول صلى الله عليه وسلم الغرس والزرع بالأجر . . وجعل الغرس والزرع بمثابة الصدقة الجارية ، فكل ما يؤكل من الغرس والزرع يكتب به لصاحبه الأجر .

كذلك اهتمت السنة النبوية الشريفة بحماية الحيوانات وحسن معاملتها ، فقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن صبر البهائم وقتلها وذبحها لغير منفعة أو مأكلة ، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بحسن معاملة الحيوانات ، وأوضح لنا فى ذلك أن رجلا سقى كلبا كاد العطش أن يهلكه فغفر الله له ، وفى نفس الوقت دخلت امرأة النار لأنها حبست هرة حتى ماتت .

واهتمت السنة النبوية الشريفة بصحة البيئة والحفاظ عليها ، وهو موضوع لم يرد فى القرآن الكريم بشىء من التفصيل كما ورد فى الأحاديث النبوية الشريفة .

وقد أمكن تقسيم الأحاديث التى وردت فى صحة البيئة والحفاظ عليها إلى ثلاث مجموعات :

المجموعة الأولى: اهتمت بالحفاظ على موارد المياه من التلويث بالبول والبراز.

المجموعة الثانية : اهتمت بتنبيه المسلمين إلى خطر انتقال الجراثيم عن طريق آنية الأكل والشرب، سواء عن طريق النفخ والتنفس فيها، أو عن طريق تركها مكشوفة دون غطاء.

كذلك نبهت السنة النبوية إلى خطورة الكلاب التى تعتبر حاملا للعديد من الطفيليات.

المجموعة الثالثة : اهتمت بأمر الحجر الصحى، وذلك حتى لا تنتقل الأمراض والأوبئة وتنتشر بين المسلمين فتفتك بهم، ويمكن القول بأن السنة النبوية قد نهت عن الفساد والإسراف وذلك حفاظا على البيئة وحماية لمكوناتها من أشجار وحيوانات ومياه.

ونهت السنة النبوية عن الإسراف، ودعت إلى التوسط والاعتدال، فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بعدم قطع الأشجار أو حرقها لغير منفعة، وشجع على غرسها وزراعتها، وأمر بحماية الحيوانات وعدم صبرها، وعدم قتلها أو ذبحها لغير منفعة.

هذا هو النهج الذى انتهجه القرآن الكريم وانتهجته السنة النبوية الشريفة فى علاج قضايا البيئة وفى حمايتها والحفاظ عليها ونأمل فى الآتى :

١ - أن ينهج المسلمون نهجا دينيا فى علاج قضايا البيئة، وذلك من خلال القوانين والتشريعات المستوحاة من الكتاب والسنة.

٢ - أن يسعى مختصو المناهج المسلمون لوضع منهج تربوى إسلامى مستوحى من الكتاب والسنة، وذلك فى محاولة جادة لإبراز المشكلات البيئية وتوضيح دور المسلم فى الحفاظ على البيئة وحمايتها.

٣ - إدخال التربية البيئية كمادة من المواد الدراسية فى مراحل التعليم المختلفة.

اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والله ولى التوفيق.

ضميمة فى الأخلاق الإسلامية

وأثرها فى سلامة البيئة

تمهيد

الأخلاق الفاضلة هى دعامة الفضيلة، وسلمّ الرقى، وطريق التقدم، وباب الرخاء للأمة والبيئة، وقد حث الإسلام على العمل والأمل، والسعى والجدّ والكفاح والبناء. وهى نماذج فاضلة تأخذ بيد الأمة إلى التقدم والرقىّ.

كما حث الإسلام على الإيثار والتعاون والتعاطف، وعمل الخير والمعروف، وأمر بالعلم والتعليم، وكلها أمور تؤدى إلى التماسك والتآلف.

ومن فرائض الإسلام: الصلاة والزكاة والصيام والحج، وتحريم الخمر والميسر والسُكر وإيذاء الآخرين.

كما حث الإسلام على الزراعة، والنظافة، والفرار من الأمراض المعدية، والأخذ بأساليب العلاج والدواء، وعزل المصاب بالأمراض المعدية، حتى لا تنتقل العدوى للآخرين.

كما أمر الإسلام بنظافة البيئة، والرفق بالحيوانات ومساعدتها.

وقد قدمت هنا طائفة من الأخلاق الإسلامية، وبينت أثرها فى سلامة البيئة وحمايتها وتطورها.

. . . .

فضل الكسب والعمل

الإسلام دين يجمع بين واجبات الدنيا وواجبات الآخرة، وقد حث الإسلام على العمل، وبارك أنواع العمل جميعها: التجارة، والزراعة، والصناعة، والتعليم، وكل حرفة من الحرف.

قال تعالى: ﴿ فإذا قُضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾ (سورة الجمعة: ١٠).

أي إذا انتهت الصلاة فاذهبوا إلى السعي على الرزق، وطلب الرزق من الحلال، بأي وسيلة من الوسائل الشريفة.

روى البخاري في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لأن يأخذ أحدكم حبله، فيأتي بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه».

فالإسلام هنا يحرم الشحاذة والتسول، ويأمر بالعمل لأنه عبادة وجهد، وفيه نفع للفرد والمجتمع.

روى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده ».

وروى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك قال: « ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان إلا كان له به صدقة».

التعفف والإجمال فى الطلب

حرص الإسلام على كرامة المسلم وعزته وقناعته، وإيمانه بالقضاء والقدر خيره وشره، حلوه ومره، وقد أمر القرآن بالتعفف والقناعة. قال تعالى: ﴿ وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ﴾ (سورة هود: ٦).

وروى البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لو أن لابن آدم واديا من ذهب ـ أحبّ أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب».

إن الإسلام دين التوسط والاعتدال، فقد حث على العمل والكسب، ولكنه نهى عن الجشع والطمع، والتطلع إلى المال، والاستزادة منه إلى حدّ عبادة المال. وفى الحديث الصحيح: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم»، أى خاب الإنسان الذى يشغل كل همه وجهده، وتفكيره وحياته بالذهب والفضة، حتى يصبح كالعبد للمال، مع أن هذا الإنسان لن يقنع ولن يشبع، ولو كان له واد بين جبلين يسيل ذهبا، لتمنى أن يكون له واد ثان يسيل ذهبا، ولا يملأ عينه إلا الموت ودخول القبر ووضع التراب فوقه.

والمقصود هنا، التماسك والتجلد والقناعة، واليقين بأن كل إنسان سيستوفى رزقه وأجله وحظّه ونصيبه، فعليه أن يسعى، ويعمل مستعينا بالقناعة والرضا والإيمان بالله رب العالمين.

الإنفاق فى وجوه الخير

حث القرآن الكريم على الصدقة والإنفاق فى سبيل الله، ووعد المنفقين بالإخلاف والزيادة، وحسن الثواب. قال تعالى: ﴿وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾ (سورة سبأ: ٣٩).

ووعد الله أن يبارك للمنفق فى ماله، وأن يجزيه الجزاء الحسن فى الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يُوَفَّ إليكم وأنتم لا تُظلَمون ﴾ (سورة البقرة: ٢٧٢).

وروى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أيكم مال وارثه أحبّ إليه من ماله؟ قالوا: يا رسول الله، ما منّا من أحد إلا ماله أحب إليه، قال فإن مالك ما قدمت، ومال وارثك ما أخرّت».

أى أن مالك الحقيقى هو الذى تنفقه فى صدقة، أو معروف، أو كفالة يتيم، أو إطعام جائع، أو رعاية محتاج، أو أى وجه من وجوه المعروف والبر. هذا هو مالك الذى يثقل ميزان حسناتك يوم القيامة.

والمسلم ينبغى أن يوازن الأمور، فيعطى للفقراء نصيبهم، ويترك لورثته نصيبا أيضا، وينبغى أن يعلم أن أفضل أنواع الصدقة ما تصدق به الإنسان وهو فى أوج صحته وعافيته، ولا يتمهل بالصدقة حتى يرى الموت فيتصدق، وقد أصبح المال حقا لورثته على وشك أن ينتقل إليهم، والله ولى التوفيق.

الإيثار والمواساة

الإيثار هو العطاء والمعروف والصدقة، مع حاجة المتصدق، وهو أريحية وسماحة وكرم زائد. قال تعالى: ﴿ ويُؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خَصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ (سورة الحشر: ٩).

كان الأنصار من أهل المدينة يستقبلون المهاجرين أفضل استقبال ويقدمون لهم أحسن ما عندهم بنفوس كريمة بعيدة عن الشح والبخل، وقال تعالى: ﴿ ويطعمون الطعام على حبّه مسكينا ويتيما وأسيرا * إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا﴾ (سورة الإنسان: ٨، ٩).

فهؤلاء الصالحون يحبّون الطعام، ولكنهم يقدمونه للمساكين، واليتامى والأسرى تقربا إلى الله ورغبة فى الثواب من عند الله تعالى.

وكان بعض الصالحين يقدّم إلى الزكاة أفضل أنواع المال، فيقال له: نحن نريد الوسط. فيقول: أعرف ذلك، ولكنّى أريد أن أقدم إلى ربّى أحسن ما عندى.
ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «طعام الواحد يكفى الاثنين، وطعام الاثنين يكفى الأربعة، وطعام الأربعة يكفى الثمانية» رواه مسلم.

وقال تعالى: ﴿ لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم﴾ (سورة آل عمران: ٩٢).

النصح وإيصال الخير

النصح: هو إيصال الخير للمنصوح، وتوجيهه إلى الأحسن والأفضل، وتحذيره من الشرّ والسوء، قال تعالى: ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ (الحجرات: ١٠).

وروى مسلم في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الدين النصيحة، ثلاثا، قلنا لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم».

أي أن من معالم الإسلام النصيحة، وإرشاد الضالّ، وتوجيه الغافل. ويجب بذل النصيحة خالصة لوجه الله، ولشرح كتاب الله، أو التذكير بحديث رسول الله. وتوجه النصيحة للخاصة، ولعامة الناس.

وروى الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « تبسّمك في وجه أخيك لك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر لك صدقة، وإرشادك الضال لك صدقة، وتوجيه الأعمى وضعيف البصر لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة».

لقد تعددت أنواع الخير والمعروف، وأصبح كل جميل تعمله في إنسان لك به ثواب. وخير الناس أنفعهم للناس، وخصوصا إرشاد الناس ونصحهم، وتوجيههم إلى ما ينفعهم.

الإصلاح بين الناس

الصلح بين الناس فضيلة عظيمة، وثوابها كبير، لأنها تؤدّي إلى سلامة الصدور، وإزالة الأحقاد، وتعاون المسلمين وتآلفهم.

* قال تعالى : ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾ (سورة الحجرات: ١٠).

*وقال تعالى: ﴿لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نأتيه أجرا عظيما﴾ (سورة النساء: ١١٤).

* وقال سبحانه : ﴿فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم﴾ (سورة الأنفال : ١).

* وقال تعالى: ﴿ وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير﴾ (سورة النساء: ١٢٨).

وروى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كل سلام من الناس عليه صدقة: كل يوم تطلع فيه الشمس، يصلح بين اثنين بالعدل صدقة، ويعين الرجل فى دابته، فيحمله عليها، أو يرفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة يمشيها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة».

وروى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ليس الكذّاب الذى يصلح بين الناس فينمّى خيرا، ويقول خيرا»، أى أنه يباح لمن أراد الإصلاح أن يزيد فى كلمة طيبة سمعها من أحد الطرفين، أو يقول كلاما جديدا مبتكرا ليصلح بين الناس.

وفى الحديث الشريف: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والزكاة والصدقة، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «إصلاح ذات البين» رواه أبو داود.

بر الوالدين

الوالدان هما سبب وجود الإنسان فى هذه الحياة، وإكرامهما واجب دينى وإنسانى، وخصوصا فى مرحلة الكبر والحاجة إلى المساعدة.

قال تعالى: ﴿وقضى ربّك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبرَ أحدُهُما أو كلاهما فلا تقل لهما أفّ ولا تنهرهما وقل لهما قولا

كريما ❀ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ﴾ (سورة الإسراء: ٢٣ ، ٢٤).

ووصية الإسلام للأم مضاعفة ثلاث مرات، لأنها تعبت فى الحمل والولادة والرضاعة.

قال تعالى: **﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وَهْنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك﴾** (سورة لقمان: ١٤).

وعن عبد الله بن مسعود قال: سألت النبى صلى الله عليه وسلم: «أىّ الأعمال أحب إلى الله؟ قال: الصلاة على وقتها. قلت: ثم أىّ؟ قال: بر الوالدين. قلت: ثم أى؟ قال: الجهاد فى سبيل الله» متفق عليه.

وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتى؟ قال: أمك. قال ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أبوك» متفق عليه.

وروى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «رغم أنفه. ثم رغم أنفه قيل: من يا رسول الله؟ قال: من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة»، أى بسبب طاعتهما والحنو عليهما، ورضاهما عنه، ودعائهما له.

بر أصدقاء الأبوين والأقارب

الناس بخير ما تواصلوا وتراحموا. ومن إكرام المسلم لوالديه، إكرام صديقهما، وأحبابهما بعد وفاتهما. روى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن من أبرّ البر صلة الرجل أهل ودّ أبيه بعد أن يموت».

وروى أبو داود، أن رجلا من بنى سلمة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، هل بقىّ علىّ من برّ أبوى شىء أبرهما به بعد موتهما؟ «قال: نعم، الدعاء لهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ وصيتهما من بعدهما، وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما».

إن وفاء الإنسان لوالديه بعد موتهما نعمة وبركة، ويتمثل ذلك فى الدعاء لهما بالجنة والمغفرة، وقوله: اللهم اغفر لهما ذنوبهما وارحمهما كما ربيانى صغيرا. وكذلك أن ينفذ وصيتهما وعهدهما إليه، فيرعى إخوته الصغار، ويكرم الفقير، ويساند الضعيف من أقارب والديه، ويكون بارا بأصدقاء أبيه بعد وفاته. إن هذا النوع من المعروف، فيه الوفاء والمروءة ومكارم الأخلاق، وردّ الجميل للوالدين فى حياتهما وبعد وفاتهما.

وفى الحديث الشريف: «عفّوا تعفّ نساؤكم، وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم».

صلة الأرحام

الأرحام هى الأقارب كالأخ والأخت والعّم والعمّة والخال والخالة، وابن الأخ وابن الأخت وسائر الأقارب، قال تعالى: ﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تَسَاءَلون به والأرحام﴾ (سورة النساء: ١).

أى اتقوا الأرحام أن تقطعوها، فمن وصل رحمه وصله الله، ومن قطع رحمه قطعه الله.

روى البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من سره أن يبسط له فى رزقه ويبارك له فى عمره فليصل رحمه».

وقد يكون بين الأقارب بعض التنافس أو الخلاف، والمصاعب، والمؤمن مطالب بأن يتخطى هذه الخلافات، وأن يقابل الإساءة بالإحسان. وأن يصل الرحم وخصوصا عند القطيعة.

روى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل هو الذى إذا انقطعت رحمه وصلها».

وروى الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذى الرحم ثنتان صدقة وصلة رحم».

ليت كل مسلم يبحث عن أقاربه، ليطعم الجائع، ويكسوا العارى ويساعد المحتاج، وبذلك يصل الرحم، وينال سعادة الدنيا والآخرة.

النفقة على العيال

يلتزم المسلم بالنفقة على أسرته، من زوجة وأولاد وبنات حسب حالته المالية، ويجب أن يهتم بأولاده ويرعاهم، قال تعالى: ﴿ لينفقْ ذو سَعة من سعته ومن قُدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلّف الله نفسا إلا ما آتاها ﴾ (سورة الطلاق: ٧).

وحين ينفق الإنسان على أسرته، ينبغى أن يصحح النية، وهى أداء الواجب، والقيام بحق الأسرة، والتقرب إلى الله، والرغبة فى رعاية ذرية صالحة.

روى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إذا أنفق المسلم نفقة على أهله يحتسبها كان له صدقة».

وعن سعد بن أبى وقاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكفّفون الناس، وإنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله، إلا أجرت بها، حتى ما تجعل فى فم امرأتك» رواه البخارى ومسلم.

إن الإنسان الملتزم هو الذى يرعى أسرته، ويهتم بشئونها، ولا يجوز أن يهمل أسرته أو يفرط فى نفقتها، أو يهرب من مسئولية أولاده، قال تعالى: ﴿وعلى المولود له رزقهنّ وكسوتهن بالمعروف﴾ (سورة البقرة: ٢٣٣).

وروى أبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت».

حق الزوجة على زوجها

من حقوق الزوجة على زوجها، المهر، والنفقة، والعشرة بالمعروف. قال تعالى: ﴿ وآتوا النساء صَدُقاتهن نِحْلةً ﴾ (النساء: ٤).

أى أعطوا النساء مهورهن عطية طيبة بها نفوسكم، ويجب على الزوج أن ينفق على زوجته، حسب حالته المادية، إن كان فقيرا أو متوسطا أو غنيا.

قال تعالى: ﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قُدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لايكلف الله نفسا إلا ما آتاها﴾ (الطلاق: ٧).

كما يجب على الزوج أن يحسن العشرة، وأن يكون كريما ودودا متسامحا. قال تعالى: ﴿ وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعلَ الله فيه خيرا كثيرا ﴾ (النساء: ١٩).

والمعروف كلمة واسعة، تشمل كل ما عرف حسنه وجماله، فعليه أن يطعم زوجته مما يأكل، وأن يكسوها مما يلبس، وأن يجاملها بشيء من الهدايا والطرف والترويح عن النفس.

قال صلى الله عليه وسلم: «استوصوا بالنساء خيرا» (رواه البخارى). وكان صلى الله عليه وسلم فى بيته متواضعا متعاونا، يكون فى مهنة أهله، ويقطع اللحم معهن، ويحلب شاته، ويخصف نعله، ويساعد فى نظافة المنزل وترتيبه، فإذا جاءت الصلاة خرج إلى الصلاة، وقال صلى الله عليه وسلم: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى» (رواه ابن ماجه).

حق الزوج على زوجته

من حق الزوج على زوجته، الطاعة، والأمانة على النفس والعرض والمال، والعشرة بالمعروف، قال تعالى: ﴿ الرجال قوّامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم...﴾ (النساء: ٣٤).

وقوامة الرجل على المرأة هى قوامة المودة والرحمة، وللمرأة قوامة فى شئون المنزل ورعاية الذرية.

ومن واجبات الزوجة، المحافظة على منزل الزوجية، والأمانة والعفة والاستقامة، والإخلاص فى عملها ورعاية أبنائها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه» (متفق عليه).

والمقصود من الحديث: أن المرأة إذا أرادت أن تصوم نفلا وتطوعا، فعليها أن

تستأذن زوجها، وتحصل على موافقته، لأن له حقا فى الاستمتاع بها، فلا تفوّت عليه هذا الحق إلا بإذنه.

ومن واجبات المرأة المحافظة على بيت الزوج وأولاده وأمواله، ولا تأذن لأحد بدخول بيته، إلا إذا عرفت أن ذلك يرضيه، ويوافق رغبته.

روى النسائى قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أى النساء خير؟ قال: «التى تسرّه إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه فى نفسها وماله بما يكره».

تربية الأولاد

حث الإسلام على تربية الأولاد، وتعليمهم وحسن تأديبهم، قال تعالى: ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها﴾ (طه: ١٣٢).

« فالرجل راع فى بيته وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»، كما ورد فى الحديث الصحيح.

إن الأمة مجموعة من الأسر، فإذا قامت الأسرة برعاية أبنائها، وسهرت على مصالحهم وتعليمهم، أصبحوا رجالا صالحين، وأمهات صالحات.

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وقال تعالى: ﴿ يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ﴾ (سورة التحريم: ٦).

والآية دعوة إلى الوقاية من النار، وذلك بأداء الفرائض، واجتناب المنهيات، وعمل الواجبات، والعناية بتربية البنين والبنات.

روى الشيخان عن عمر بن أبى سلمة قال: كنت غلاما فى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكانت يدى تطيش فى الصحفة «أى إناء الطعام» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يا غلام سمّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك».

ينبغي أن نبذل جهدا متواصلا من أجل رعاية أبنائنا ومعايشتهم، وأن نكون لهم قدوة حسنة، فنصلي ونصوم، ونتحلى بمكارم الأخلاق، مثل الصدق والأمانة، وعزة النفس والإخلاص في العمل، وبذلك نصبح قدوة عملية لهم، كما يجب المساواة الكاملة في حسن المعاملة. وفي الحديث الصحيح: «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم».

ملاطفة الضعفاء

عنى الإسلام بالعطف على الفقير والمحتاج، والأرملة والمسكين، وسائر الضعفاء، هؤلاء الضعفاء في حاجة إلى اليد الحانية، والتشجيع والمساعدة، حتى يكونوا لبنات صالحة في المجتمع.

روى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين. وأشار بالسبابة والوسطى وفرّج بينهما». فاليتيم فقد أباه، وقد أوصى القرآن بإكرامه ورعايته، والمحافظة على ماله، وتزويده بالخبرة والدروس النافعة، قال تعالى: ﴿ ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح﴾ (سورة البقرة: ٢٢٠).

وروى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت عليّ امرأة ومعها ابنتان لها تسأل، فلم تجد عندي شيئا غير تمرة واحدة، فأعطيتها إياها، فقسّمتها بين بنتيها، ولم تأكل منها، ثم قامت، فخرجت، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم علينا فأخبرته، فقال: «من ابتلى من هذه البنات بشيء، فأحسن إليهن، كنّ له سترا من النار».

وقال تعالى: ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده﴾ (سورة الإسراء: ٣٤).

وروى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم».

الوصية بالجار

أمر القرآن الكريم برعاية الجار والإحسان إليه، فقال تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجُنُب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا﴾ (سورة النساء: ٣٦).

فينبغي مجاملة الجار، فإن أصابه خير هنأته، وإن أصابه شر عزّيته، وينبغي معاونته فيما يحتاج إليه، وتفقد أحواله، وكفّ أسباب الأذى عنه.

روى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «والله لا يؤمن أحدكم حتى يأمن جاره بوائقه» أى ظلمه وشروره.

وروى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورّثه»، وقال صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره» متفق عليه.

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: «يا رسول الله إن لى جارين فإلى أيهما أهدى؟ فقال إلى أقربهما منك بابا» (رواه البخارى).

وروى مسلم عن أبى ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك»، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره» رواه الترمذى.

إكرام الضيف

قال تعالى: ﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرَمين * إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون * فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين * فقربه إليهم قال ألا تأكلون﴾ (سورة الذاريات: ٢٤ ـ ٢٧).

وروى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه».

وروى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم، فقال النبى من يضيف هذا الليلة؟ فقال رجل من الأنصار أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى بيته. فقال لامرأته هل عندك شىء لإكرام الضيف؟ قالت: لا، إلا قوت صبيانى، قال: فعلليهم بشىء، وإذا أرادوا العشاء فنوّميهم، وإذا دخل الضيف فأطفئى السراج، وأوهميه أنا نأكل. فقعدوا، وأكل الضيف، وباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى النبى صلى الله عليه وسلم، فقال: إن الله قد عجب من صنيعكما بضيفكما الليلة».

انظر إلى هذا الرجل الأنصارى الذى يبيت جائعا بدون عشاء، وينوم أولاده بدون عشاء، ويطعم الضيف فى الظلام حتى لا يلحظ أنه يأكل وحده، وقد تعجّب الله منه، والمراد أنه رضى عنه بسبب كرمه.

الاستئذان

من الآداب الإسلامية الاستئذان قبل دخول أى بيت من البيوت، قال تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها...﴾ (سورة النور: ٢٧).

والاستئناس: هو تخيّر الوقت المناسب، أو الاتصال بالتليفون لمعرفة الوقت المناسب، أو ليتهيأ صاحب المنزل للاستقبال.

وينبغى أن يقرع الزائر الباب قرعا خفيفا، وألا يقف مقابل الباب، بل يقف على جانب الباب، وأن يبدأ أصحاب المنزل بالسلام، وألا يتجسس على شئون المنزل، وأن يغضّ بصره عن الحرمات، وإذا كان صاحب المنزل مشغولا بأعمال كثيرة، فليقض حاجته فى إيجاز، وليساعد الناس على قضاء مصالحها.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الاستئذان ثلاث، فإن أذن لك وإلا فارجع» متفق عليه.

ويقول الله تعالى: ﴿وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم﴾ (سورة

النور: ٢٨)، أى إذا كان صاحب المنزل مرتبطا بعمل، أو مشغولا فى مهمة، وطلب تأخير الزيارة، فليرجع الزائر ملتمسا العذر للآخرين، والله ولى التوفيق،،،

صحبة خيار الناس

قال تعالى: ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشى يريدون وجهه﴾ (سورة الكهف: ٢٨).

وروى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يعطيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحا منتنة».

الجليس الصالح يعين صاحبه على الخير، ويرشده إلى الفضائل، وكذلك بائع المسك، إما أن يعطيك هدية، أو تشترى منه شيئا طيبا، أو تستفيد برائحة المسك عنده، أمّا جليس السوء فهو يستدرجك إلى الآثام، أو يحملك معه إلى السوء.

قال تعالى: ﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظَلموا فتمسَّكم النار﴾(هود: ١١٣).

وروى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا، والأرواح جنود مجندة، ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف».

وروى مالك فى الموطأ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يقول الله تعالى: «وجبت محبتى للمتحابين فىّ، والمتجالسين فىّ، والمتزاورين فىّ، والمتباذلين فىّ».

حسن الخلق

حسن الخلق من أحسن الصفات، وأعلاها قدرا. وحين مدح الله رسوله الكريم قال تعالى: ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ (سورة القلم: ٤).

وقال تعالى : ﴿ والكاظمين الغيظَ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾ (آل عمران : ١٢٤) .

وروى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغى أحد على أحد » .

وروى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما نقصت صدقة من مال ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه ، وما زاد الله عبدا يعفو إلا عزا ، فاعفوا يعزكم الله » .

وروى الشيخان ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا ، ولقد خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، فما قال لى أف قطّ ، ولا قال لى لشىء فعلته لم فعلته ، ولا لقال لشىء لم أفعله هلا فعلت كذا » .

وعن النواس بن سمعان قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البرّ والإثم فقال : « البرّ حسن الخلق ، والإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس » رواه مسلم .

وروى الشيخان ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : « لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفاحشا ، وكان يقول : إن من خياركم أحسنكم أخلاقا » .

الحلم والأناة والرفق

قال تعالى : ﴿ ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم * وما يلقّاها إلا الذين صبروا وما يُلَقّاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ (فصّلت : ٣٤ ، ٣٥) .

أى السيئة والحسنة متفاوتتان ، فقابل الإساءة بالإحسان ، وعليك بالصبر عند الغضب ، والعفو عند الإساءة ، فإذا فعلت ذلك عصمك الله من الخطأ ، وخضع لك

العدو، ولا يقدر على ذلك إلا من انتصر على هواه، وسيطر على انفعالات نفسه. وهذه من أفضل الخصال.

وقال تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ (سورة الأعراف: ١٩٩).

وقال تعالى: ﴿ولْيَعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ (سورة النور: ٢٢). وروى الشيخان عن عائشة قالت: «ما خيّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه فى شىء قط، إلا أن تنتهك حرمات الله، فينتقم لله تعالى».

وروى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله رفيق يحبّ الرفق، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف، وما لا يعطى على ما سواه».

وروى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ليس الشديد بالصّرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب»، أى ليس القوى هو الذى يصرع الرجال ويغلبهم، إنما القوى الذى يستطيع أن يكظم الغيظ، وأن يضبط أعصابه عند الغضب.

قال تعالى: ﴿ولَمَن صبر وغفر إن ذلك لَمِن عزم الأمور﴾ (الشورى: ٤٣).

الأمانة والوفاء بالعهد

قال تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾ (الأنفال: ٢٧).

وقال تعالى: ﴿إن لله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ (النساء: ٥٨).

وقال تعالى: ﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا﴾ (الإسراء: ٣٤).

وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان» «متفق عليه».

وروى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر».

خلق المسلم خلق نزيه فاضل، فيه الأمانة والوفاء بالعهد، ومن الأمانة أن تحافظ على أموال الناس وودائعهم، ثم تردها إليهم عند طلبها.

قال تعالى ﴿ يأيها الذين آمنوا أوفُوا بالعقود﴾ (المائدة: ١).

والعقود هى كل عقد أو اتفاق مادى أو معنوى، فالزواج عقد، وعليه تبعات يجب الوفاء بها، والإسلام عقد بين المؤمن وربه، يترتب عليه التزامات يجب الوفاء بها، قال تعالى: ﴿ وأوفوا بعهد لله إذا عاهدتم ﴾ (سورة النحل: ٩١).

الصــدق

قال تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ (سورة التوبة: ١١٩).

وقال تعالى: ﴿ فلو صَدَقوا الله لكان خيرا لهم ﴾ (سورة محمد: ٢١).

وروى الشيخان عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق، حتى يكتب عند الله صديقا. وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب، حتى يكتب عند الله كذابا».

وعن حكيم بن حزام قال: قال رسول الله صلى عليه وسلم: «البيّعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا، بورك لهما فى بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما». رواه الشيخان

وروى البخارى عن ابن عمر قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم «أفرى الفرى أن يُرى الرجل عينيه ما لم تريا» .

والمعنى أن أكذب الكذب ، هو أن يقول الرجل : رأيت رؤيا فى منامى ، وهى كذا وكذا ، ولا يكون قد رأى فى منامه ذلك ، فهذا الإنسان عقوبته عظيمة لأن الرؤيا من الله ، وهو قد افترى على الله ونسب إليه رؤيا ، بدون أن يكون للموضوع حقيقة ، وفى الحديث الصحيح « من تحلّم حلمًا لم يره كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين» .

الحياء من الإيمان

قال تعالى : ﴿فجاءته إحداهما تمشى على استحياء﴾ (سورة القصص : ٢٥).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحياء لا يأتى إلا بخير » متفق عليه :

وروى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الإيمان بضع وسبعون ، أو قال بضع وستون شعبة ، فأفضلها : قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » .

وروى الإمام مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن لكل دين خلقًا ، وخلق الإسلام الحياء » .

وروى الشيخان عن أبى سعيد الخدرى قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أشد حياءً من العذراء فى خدرها ، فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه فى وجهه» .

وروى البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت » .

الحياء صفة من صفات الإيمان ، والحياء من الله يكون بطاعته ، وحفظ الجوارح

عن معصيته، وضدّ الحياء البذاء والفحش في القول. والمؤمن عف اللسان كريم الخصال، لطيف المعشر، طيب القول، قال أحد الحكماء:

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستح فاصنع ما تشاء
فلا وأبيك ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

الصبر

قال تعالى: ﴿ ولنبلونّكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ (سورة البقرة: ١٥٥، ١٥٦).

وقال تعالى: ﴿ إنما يُوفَّى الصابرون أجرَهم بغير حساب ﴾ (سورة الزمر: ١٠).

الصبر ثوابه عظيم، وهو يقين بالقضاء والقدر، واحتساب الثواب عند الله، وثبات في البأساء، ورضا بأسباب القضاء. روى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن، ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه ».

فالمؤمن لا يصيبه جهد أو تعب أو إثم، أو حزن على مصيبة، أو اهتمام بأمر مقبل، أو تحمل أذى أو غم، إلا كفر الله بها ذنوبه ورفع من درجاته.

وروى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

« عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرا له ».

وروى البخاري عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « إن الله عز وجل قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر، عوضته منهما الجنة - يريد عينيه - ». إن البصر من أكبر النعم فإذا فقدالمؤمن بصره ثم صبر واحتسب عوضه الله منهما الجنة جزاء صبره.

الشكــر

قـال تعـالـى : ﴿ فـاذْكـرُونى أذْكـرْكم واشكروا لى ولا تَكْفُـرونِ ﴾ (سـورة البقرة : ١٥٢).

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنَّكم ﴾ (سورة إبراهيم : ٧).

وقـال تعـالى : ﴿ وآخـر دعـواهم أن الحـمـد لله رب العـالمين ﴾ (سـورة يونس : ١٠).

وقال تعالى : ﴿ وأما بنعمة ربك فحدثِ ﴾ (سورة الضحى : ١١).

المؤمن حقًا ، كثير الذكر لله ، كثير الشكر لله على نعمه المتعددة ، فهو الذى خلقنا ورزقنا وهدانا . ومن دعـاء أهل الجنة : ﴿ الحـمـد لله الذى هدانا لـهـذا ومـا كنا لنهتديَ لولا أن هدانا الله ﴾ (الأعراف : ٤٣).

وروى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ؛ أو يشرب الشربة فيحمده عليها » .

وكان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الأكل :

« الحمـد لله الذى أطعمنا وسقانا ؛ وكفانا وآوانا ؛ فكم ممن لا كافى لـه ولا مأوى » .

وروى أبو داود والنسائى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من استعاذ بالله فأعيذوه ؛ ومن سألكم بالله فأعطوه ، ومن استجار بالله فأجيروه ، ومن أتى إليكم معروفًا فكافئوه ؛ فإن لم تكافئوه ، فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه » .

التوكــل

التوكل هو الاعتماد على الله تعالى ، والثقة بفضله ، واليقين بما عنده ، وهذا التوكل لا ينافى الأخذ بالأسباب والسنن التى أمر الله بها .

قال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا خذوا حذركم ﴾ (النساء : ٧١).

وقال تعالى: ﴿ وشاورهم فى الأمر فإذا عـزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾. (سورة آل عمران: ١٥٩).

وقال تعالى: ﴿ ومن يتوكل على الله فهُو حسْبه ﴾ (الطلاق: ٣).

وقـال تعـالى: ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذُكـر الله وجلت قـلوبهم وإذا تُليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ (الأنفال: ٢).

وروى الشيـخان عن أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ قـال: « نظرت أقدام المشركين ونحن فى الغار، وهم على رءوسنا؛ فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا. فقال: ما ظنك باثنين الله ثالثهما».

وعن ابن عباس قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل».

قالها إبراهيم حين ألقى فى النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا: ﴿ إن الناس قد جمعوا لكم فاخشـوهم فزادهم إيمانًا وقالـــوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ (آل عمران: ١٧٣).

التقـوى

قـال تعـالى: ﴿ يأيهـا الذيـن آمنوا اتقـوا الله حَق تُقـاتـه ولا تموتُن إلا وأنتم مسلمون ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢).

وقال تعالى: ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ (سورة التغابن: ١٦).

وقال سبـحانه: ﴿ يأيهـا الذين آمنوا إن تتقـوا الله يجعل لكم فـرقانًا ويكـفِّر عنكم سيئاتكم ويغفرْ لكم ﴾ (سورة الأنفال: ٢٩).

وقال تعالى: ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ (الطلاق: ٢، ٣).

وقال تعالى: ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ (الحجرات: ١٣).

التقوى هى مراقبة الله تعالى، واتقاء الشرك، ثم اتقاء المعاصى، ثم اتقاء الشبهات، وقيل هى الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل. روى الشيخان عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

«الحلال بين، والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام؛ كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب».

إن الحلال ظاهر واضح، والحرام واضح، كالزنا والسرقة وشرب الخمر؛ وبين الحلال والحرام أمور مشتبهات، ومن الواجب الابتعاد عن الشبهات، وتحرى الحلال، ومراقبة الله تعالى وطاعته.

الإسلام يسر لا عسر

قال تعالى: ﴿ طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى * إلا تذكرةً لمن يخشى ﴾ (طه: ١ ـ ٣).

وقال تعالى: ﴿ يريد الله بكم اليُسْرَ ولا يريد بكم العسر ﴾ (سورة البقرة: ١٨٥).

وقال سبحانه: ﴿ لا يكلِّف الله نفسًا إلا وسعها﴾ (سورة البقرة: ٢٨٦).

وكان الصحابى الجليل أبو الدرداء يصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يقترب من زوجته، زهدا فى الحلال المباح؛ فقال له أخوه فى الدين سلمان الفارسى:

يا أبا الدرداء «إن لربك عليك حقًّا، وإن لنفسك عليك حقًّا، وإن لأهلك عليك حقًّا؛ فأعط كل ذى حق حقه».

فجاء أبو الدرداء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فقال عليه الصلاة والسلام: «صدق سلمان» رواه البخارى.

وروى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إن أتقاكم لله أنا، وإن أعلمكم بالله أنا، وإنّ أخوفكم من الله أنا، لكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتى فليس منى ».

الإسلام دين الفطرة والسماحة والاعتدال. والتشدد فى الدين، والمبالغة فى إرهاق الإنسان نفسه؛ غلو وتشدد غير مطلوبين؛ قال تعالى: ﴿ونيسرك لليسرى﴾ (الأعلى: ٨).

وقال صلى الله عليه وسلم: « إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا» رواه البخارى.

الطهارة

قال تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جُنُبًا فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيدًا طيبًا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون﴾ (سورة المائدة: ٦).

وروى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إن أمتى يدعون يوم القيامة غرًّا محجّلين؛ من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل».

وروى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

« إذا استيقظ أحدكم من نومه، فلا يغمس يده فى الإناء حتى يغسلها ثلاثاً، فإنه لا يدرى أين باتت يده ».

وروى الشيخان عن حمران أن عثمان ـ رضى الله عنه ـ « دعا بوضوء، فغسل كفيه ثلاث مرات، ثم مضمض واستنشق واستنثر؛ ثم غسل وجهه ثلاث مرات،

ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاث مرات ؛ ثم اليسرى مثل ذلك، ثم مسح برأسه، ثم غسل رجله اليمنى إلى الكعبين ثلاث مرات ؛ ثم اليسرى مثل ذلك، ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ نحو وضوئى ».

الصلاة

قال تعالى: ﴿ وأقم الصلاة طرفَيِ النهار وزُلَفًا من الليل إن الحسنات يُذْهِبْن السيئات﴾ (سورة هود: ١١٤).

وقال سبحانه: ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا الله قانتين﴾ (سورة البقرة: ٢٣٨).

وقال عز وجل: ﴿ إن الصلاة تَنْهَى عن الفحشاء والمنكر ﴾ (سورة العنكبوت: ٤٥).

وروى مسلم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة ؛ فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها - إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب، ما لم يؤت كبيرة ؛ وذلك الدهر كله ».

وعن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله عليه صلى الله عليه وسلم قال: «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة ».

وروى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه (وسخه) شيء ؟ قالوا لا يبقى من درنه شيء قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا ».

وروى السبعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبّر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعًا، ثم ارفع حتى تعتدل قائمًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم افعل ذلك فى صلاتك كلها ».

الزكــاة

قال تعالى: ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرُهم وتزكيهــم بها ﴾ (سورة التوبة: ١٠٣).

وقال تعالى: ﴿ والذين يكنزون الذهــب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم * يوم يُحمَى عليها فى نار جهنم فتكوَى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكــم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ (سورة التوبة: ٣٤، ٣٥).

وروى الشيخان عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً إلى اليمن، فقال: «ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله تعالى؛ قد افترض صدقة تؤخذ من أغنيائهم، وتردّ إلى فقرائهم».

وروى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مُثل له ماله يوم القيامة شجاعًا أقرع (ثعبانًا قد ابيض رأسه من كثرة السمّ) له زبيبتان (نكتتان سوداوان فوق عينيه). يطوّقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه - يعنى شدقيه - ثم يقول أنا مالك أنا كنزك. ثم تلا قوله تعالى: ﴿ ولا يحسبنّ الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ﴾ (سورة آل عمران: ١٨٠)».

الصيام

قال تعالى: ﴿ يأيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾. (البقرة: ١٨٣)

وروى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا دخل رمضان فتحت أبواب السماء، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين».

وروى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « ما من عبد يصوم يومًا فى سبيل الله ؛ إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار، ومن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه ».

وروى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إنى صائم إنى صائم».

وروى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه ».

وروى الشيخان عن عائشة رضى الله عنها قالت: « كان النبى صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان ؛ حتى توفاه الله ثم اعتكف أزواجه من بعده ».

وروى الشيخان عن عائشة رضى الله عنها قالت: « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - إذا دخل العشر الأواخر من رمضان - شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله ».

وقال: « من كان متحريًا ليلة القدر فليتحرها فى السبع الأواخر » متفق عليه.

الحج

قال تعالى: ﴿ ولله على الناس حِجُّ البيت من استطاع إليه سبيلا ﴾ (سورة آل عمران: ٩٧).

وقال تعالى: ﴿ الحَج أشهر معلومات فمن فَرض فيهن الحَج فلا رَفَث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ﴾ (البقرة: ١٩٧).

وروى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة ».

وروى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه ».

وروى البخارى «أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : إن أمى نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها ؟ قال نعم حجى عنها، أرأيت إن كان على أمك دين أكنت قاضيته ؟، اقضوا لله فالله أحق بالوفاء » .

وروى الإمام مالك « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه ؛ إلا المسجد الحرام » .

وروى الإمام مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : إلى المسجد الحرام وإلى مسجدى هذا وإلى بيت المقدس » .

وقال : «ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة » رواه مالك .

فضل القرآن

قال الله تعالى : ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هُدًى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ﴾ (البقرة : ٢، ٣) .

وقال تعالى : ﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾ (المزمل : ٤) .

وقال تعالى : ﴿ ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر ﴾ (القمر : ١٧) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعًا لأصحابه » . رواه مسلم

وروى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله القرآن ؛ فهو يقوم به آناء الليل وأطراف النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار » .

وروى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « . . وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده » .

وروى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « من قرأ بالآيتين الأخيرتين من سورة البقرة فى ليلة كفتاه » أى حفظتاه من المكروه.

وروى البخارى: « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما ﴿ قل هو الله أحد ﴾و﴿ قل أعوذ برب الفلق﴾ و ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات ».

ذكـر اللـه

قال تعالى: ﴿ يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً * وسبِّحوه بُكرة وأصيلا ﴾ (الأحزاب: ٤١، ٤٢).

وقال تعالى: ﴿ فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرونِ ﴾ (البقرة: ١٥٢).

وقال تعالى: ﴿ فى بيوت أذن الله أن تُرفَع ويُذكَر فيها اسمه يسبِّح له فيها بالغدوِّ والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة.. ﴾ (النور ٣٦، ٣٧).

ذكر الله هو تذكر عظمته وجلاله، ومراقبته وطاعته ؛ وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وذكر الله عبادة لله، ويكافئ الله الذاكرين مكافأة جليلة.

روى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان فى الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ».

وروى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

يقول الله تعالى: « أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه إذا ذكرنى ؛ فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خيرا منهم ».

وعن على بن أبى طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ولفاطمة :

«إذا آويتما إلى فراشكما فكبرا ثلاثا وثلاثين، وسبحا ثلاثا وثلاثين، واحمدا ثلاثا وثلاثين» (متفق عليه).

وروى الشيخان عن أبى موسى الأشعرى قال: قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ قلت بلى يا رسول الله، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله ».

التوبة والاستغفار

فتح الله تعالى أمام عباده أبواب التوبة والاستغفار ؛ ووعد عباده بقبول التوبة وحثهم على الإنابة إلى الله .

قال تعالى: ﴿ قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم... ﴾ (الزمر: ٥٣).

وقال تعالى: ﴿ يأيها الذين آمنوا تُوبوا إلى الله توبةً نَصُوحا ﴾ (التحريم: ٨).

أى توبة ناصحة صادقة وشروطها ثلاثة:

١ - الإقلاع عن الذنب والمعصية: ٢ - الندم على فعلهما:

٣ - العزم الأكيد ألا يعود إليهما أبدًا:

روى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

« إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ؛ ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ؛ حتى تطلع الشمس من مغربها ».

وروى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربى ؛ لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك ؛ وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك على، وأبوء بذنبى ؛ فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ».

والتوبة تأخذ بيد الإنسان إلى الطريق المستقيم، وتدفع عنه اليأس والإحباط والتردد؛ وتمنحه الثقة واليقين.

قال تعالى: ﴿ ومن يعمل سوءاً أو يظلمْ نفسه ثم يستغفِرِ الله يجِدِ الله غفورا رحيما ﴾. (سورة النساء: ١١٠)

روح القرآن

دعا القرآن الكريم إلى وحدة الأمة وتماسكها، وحث الأغنياء على رحمة الفقراء والعطف عليهم؛ وطبق المسلمون هذه الوصايا عمليًا فى حياتهم؛ ورأينا الأنصار فى المدينة يستقبلون المهاجرين أحسن استقبال؛ ويقاسمونهم الدور والأموال؛ قال تعالى: ﴿ والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ (الحشر: ٩).

طبق المسلمون هذه المبادئ عمليًا فى حياتهم فرأينا أمة واحدة فى عبادتها، وأخوتها وتعاونها يقول: (جون وود):

إن الإسلام وحده هو الذى يوحد بين الناس، وهو الدين الوحيد الذى يتيح للفقير نفس المكانة التى يتمتع بها الغنى، إنه دين المحبة، والإخاء والوفاء. والقرآن نظام شامل تام؛ للأخلاق والقوانين... إنه الكتاب الذى يقدم للبشرية الأساس الذى يجب أن تقوم عليه العدالة، وهو الكتاب الذى يشرح لنا إلى جانب كل ما يشير إليه؛ أحسن النظم الحربية؛ وأفضل النظم المالية، وشئون التشريع والقضاء، إنه الكتاب الذى يوضح أن هناك إلها واحدا فقط، فى يده مصائر كل البشر. وقد ورد ذلك فى كتاب (الإسلام والإنسان المعاصر)، د. محمد ظفر الله خان.

روح الإسلام

الإسلام دين العقل والفكر وحرية الرأى قال تعالى: ﴿ لا إكراه فى الدين ﴾ (سورة البقرة: ٢٥٦).

والعبادة فى الإسلام ؛ لتحريك الفكر واللب والفؤاد، وأعظم العبادات هى التأمل فى ملكوت السموات والأرض ؛ وكل أوامر الإسلام تتفق مع العقل ومع المصلحة العامة ؛ ذلك أنه تشريع إلهى من خالق الكون وخالق الإنسان ؛ وصانع الآلة أدرى بما يناسبها.

فالإله واحد بيده الخلق والأمر، وهو بديع السموات والأرض ؛ وهو سميع بصير مجيب، وفرائض الإسلام كلها لتهذيب الفرد، وإصلاح المجتمع ؛ فالصلاة عبادة فيها الطهارتان الحسية والمعنوية، وفيها الوقوف بين يدى الله والركوع والسجود وذكر الله ومناجاته، والصوم فيه زهد وامتثال لأمر الله، وصبر على الجوع والعطش، وتربية لإرادة الإنسان، وتحقيق للتقوى ومراقبة الله ؛ وطاعة أوامره واجتناب نواهيه ؛ والزكاة فيها تعاطف وتراحم، وإخراج الأغنياء نصيبًا من أموالهم، إلى الفقراء لمساعدتهم ومعاونتهم ؛ وفى الزكاة تهذيب للفرد ؛ وتطهير لنفسه من الشح والبخل ؛ وفيها تعاطف وتعاون بين الأغنياء والفقراء ؛ والحج مؤتمر إسلامى ووسيلة عملية لوحدة الأمة، وتشاورها فيما يعود عليها بالنفع والرقى ؛ إن الإسلام دين يساير الحضارة، ويأخذ بأسباب الرقى والتقدم ؛ ويوافق كل تطور نافع « وأينما توجد مصلحة العباد فثم شرع الله ».

الزنا

الزنا فيه عدوان على أعراض الناس، وفيه اختلاط الأنساب ؛ وفيه نقل للأمراض، بل إن الأمراض تنتقل بسبب الزنا إلى الأبناء والأحفاد، والزنا وسيلة شائنة، للعدوى بمرض السيلان وقمل العانة والإيدز، الذى يفقد الإنسان المناعة، ويقضى على حياة الإنسان وإبداعه. من أجل ذلك حرم الله الزنا، وحرم مقدماته، وهى الخلوة بالأجنبية، والاستمتاع بها، وكل الممارسات الجنسية المنحرفة أو الشاذة ؛ قال تعالى : ﴿ ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا ﴾. (الإسراء : ٣٢)

فالزنا جريمة جنائية، والزنا يؤدى إلى فساد البيئة وانتشار العدوى، ونقل

الأمراض إلى الآخرين ؛ وقد شرع الإسلام عقوبة الجلد مائة جلدة للزناة ؛ وأمر بتنفيذها وعدم التهاون فيها ، حتى نعيش فى بيئة سليمة صحيحة عفيفة .

قال تعالى : ﴿ الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهدْ عذابهما طائفة من المؤمنين ﴾ (سورة النور : ٢) .

فالزانى ينكح امرأة لا تحل له ؛ وهو بهذا يخالف أوامر الله ؛ ويعتدى على حرمات الناس ، فشرع الله عقوبته بالجلد مائة جلدة ؛ توزع على جميع جسمه ؛ حتى يحس بالألم ، كل جزء ذاق اللذة الحرام ، كما أمر بمشاهدة الناس لهذه العقوبة ، لتكون بمثابة الجراحة الذهنية لكل من يفكر فى هذه الجريمة ليعتبر ويتعظ بالآخرين .

الخمر

تعاطى الخمور يجر صاحبه إلى الإدمان ؛ وإلى فقد السيطرة على نفسه ، وإلى السُكر والعربدة ، فالسكّير فاقد لإرادته ؛ ويمكن أن يرتكب حماقات متعددة ؛ وأن يعتدى على الآخرين ؛ وربما فقد وظيفته ، أو تجارته أو عقله ؛ أو منزلته فى المجتمع ؛

وقد حرمت الخمر بالتدريج ، نظراً لتمكنها من العرب ، فقد انشغلوا بالخمر ووصف الخمر ؛ وآثارها فى النشوة والشجاعة ؛ حتى قال بعضهم :

فإذا سكرت فإننى ... رب الخورنق والسدير
وإذا صحوت فإننى ... رب الشويهة والبعير

وقد حرم الله الخمر فى ثلاث مراحل .

فى المرحلة الأولى : بين أن فيها بعض المنافع لكن ضررها أكثر من نفعها ؛ قال تعالى : ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قلِ فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ﴾ . (البقرة : ٢١٩)

وفى المرحلة الثانية: حرم الخمر قبل الصلاة فقال تعالى: ﴿ . . لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ﴾ (سورة النساء: ٤٣).

وفى المرحلة الثالثة: بين ضررها للجسم ؛ وذكر أنها طريق الشيطان إلى ارتكاب الكبائر، وأمر بأن تكون فى جانب بعيد عن الجانب الذى نحن فيه ؛ ثم حرمها الرسول صلى الله عليه وسلم تحريمًا قاطعًا.

قال تعالى: ﴿ يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾ (المائدة ٩٠، ٩١).

المخدرات

فى الحديث النبوى الشريف يقول النبى صلى الله عليه وسلم: « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير ».

والقوة أنواع، منها قوة البدن والجسم والصحة والعافية، وقوة الإرادة ومضاء العزيمة وعلو الهمة وعدم التردد. والمخدرات والمسكرات بجميع أنواعها وأسمائها؛ عوامل هدم وإحباط للجسم والصحة والأجهزة الداخلية ؛ وهذه المخدرات أيضًا عوامل هدم للقوتين المعنوية والروحية ؛ هذه المخدرات يروجها الأعداء فى بلادنا، لتقتل المناعة، وتضعف الروح المعنوية للشباب، وإذا استمر إنسان فى تعاطى المخدرات تراه ضعيف الإرادة مسلوب العزيمة مشغولاً بنفسه، يبحث عن الحشيش أو الأفيون أو الكوكايين أو الهيروين، ليسد حاجته، وربما فرط فى أعز الأشياء عنده؛ من أجل هذه المخدرات.

إن هذه السموم وباء للبيئة ؛ وفتك بشبابنا، وبأغلى ما نملك، ومن واجبنا أن نحافظ على أجسامنا وأفئدتنا وسائر قوانا ؛ فالله تعالى يقول: ﴿ ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ (البقرة: ١٩٥).

ويقول سبحانه: ﴿.. ويُحِل لهم الطيباتِ ويُحرِّم عليهم الخبائث﴾ (الأعراف: ١٥٧).

والدين الإسلامى يهيب بنا أن نبتعد عن هذه المخدرات محافظة على بيئتنا وأجسامنا وعقولنا وشبابنا، وأن نتجه إلى الطريق القويم، والصراط المستقيم، فى طاعة الله رب العالمين.

التدخين

التدخين عادة ضارة بالجسم، وفيها عدوان على البيئة، فالدخان المنبعث من السيجارة، يصل إلى الرئة ويصيب الآخرين بأمراض متعددة؛ وفى الحديث الشريف «لا ضرر ولا ضرار»، أى لا يجوز أن أضر نفسى، ولا يجوز أن أضر الآخرين؛ أو أتسبب فى توصيل الأضرار إليهم.

لقد ثبت علميًا أن التدخين ضار جداً بالصحة، وهو أيضًا مخالفة لأوامر الدين، وسلوك عدوانى على النفس وعلى الآخرين.

والإقلاع عن عادة التدخين، يحتاج إلى قوة الإرادة؛ والتوبة الصادقة؛ والعزم واليقين بأن ما ثبت ضرره. وجب الإقلاع عنه، كذلك يجب مرافقة الأخيار الصالحين، والابتعاد عن مرافقة الأشرار، الذين يحرضون الإنسان على الرذيلة وينفرونه من الفضيلة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كبائع المسك ونافخ الكير. فبائع المسك إما أن يهديك أو تشترى منه أو تجد ريحًا طيبًا؛ ونافخ الكير إما أن يؤذيك، أو يتطاير الشرر منه على ثيابك؛ أو تجد منه ريحًا خبيثًا».

فالإنسان محتاج إلى رفقة طيبة، تذكره بالأعمال الصالحة؛ وتساعده على التوبة النصوح، وتخلصه من العادات السيئة...، والدخان والمخدرات والخمر، وسائل الشيطان إلى الشرور والآثام، والتوبة منها واجبة، حتى نتطهر من الآثام؛ ونسير فى طريق الخير والإيمان.

حب الوطن

حب الوطن فطرة حميدة، وغريزة طيبة، فالوطن هو ذلك الجزء من الأرض، التي أظلتنا سماؤه وحملتنا أرضه، وأكلنا من رزقه، وشربنا من مائه، وارتبطت حياتنا به ؛ ففيه مهد طفولتنا ؛ وملاعب صبانا، وذكريات شبابنا وحياتنا ؛ قال الشاعر :

وحبب أوطان الرجال إليهم   مآرب قضاها الرجال هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهمو   عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

هذا الوطن الذى قدم لنا الكثير من الرعاية والحماية والتعليم ؛ يحتاج منا إلى أن نرد له الجزاء ؛ ونشكره على حنوه علينا ؛ هذا الشكر ينبغى أن يكون شكراً عمليًا ؛ فحماية هذا الوطن من الأوبئة والآفات، والأمراض الفتاكة واجب وطنى ؛ والتعاون والتساند من أجل مساعدة المحتاجين ؛ ورعاية المرضى، وإرشاد الضالين، واجب وطنى، وحماية البيئة، مما يضر بها، أو يفسدها، أو يؤخر نموها ؛ واجب وطنى.

كما أن الدفاع عن الوطن ؛ والوقوف فى وجه الأعداء واجب وطنى ؛ كذلك حب المواطنين والعطف عليهم، واجب وطنى، والنظافة الحسية والنظافة المعنوية، وتشملان نظافة الجسم والثوب، ونظافة الإنسان من سلب حقوق الآخرين أو العدوان عليهم واجب وطنى ؛ وإن حب الوطن والمحافظة عليه والعمل على تقدمه ورقيه، ونظافته وحمايته من كل عدو، واجب وطنى، وحب الوطن من الإيمان.

عاقبة المفسدين

كانت اليمن فى دولة سبأ بلاداً مستفيضة الرقعة، ذات تربة خصيبة ؛ لكنها شحيحة بالماء ؛ مقفرة من الأنهار ؛ فهدوا إلى طريقة السدود والحواجز ؛ وتجاوز عددها المئات، ولكن سد مأرب كان أقواها وأنفعها، وبفضل سد مأرب والمحافظة عليه، اتسعت الزراعة، وتحولت الرمال إلى بسط هندسية خضراء، تجرى بينها القنوات الملتوية، وتجد فى بساتينها الثمار الدانية، والأزهار الملونة البديعة.

واتسعت لديهم النعمة ؛ وفاض الخير ؛ واشتغل جماعة منهم بالتجارة بين الحجاز والشام ؛ وتعددت نعم الله عليهم: ﴿بَلْدَةٌ طيبة ورب غفور﴾ (سورة سبأ: ١٥).

وكان من الواجب عليهم شكر النعمة، والعناية بالسدود وحفظ المياه، وطاعة الله والبعد عن معاصيه.

لكنهم كفروا بالنعمة؛ وبالغوا فى الترف، وانصرفوا عن العمل؛ وكذبوا الرسل الناصحين لهم؛ وكفروا بربهم؛ فعاقبهم الله أشد العقوبة؛ وتهدم سد مأرب؛ وانطلقت المياه فى شعاب الوادى، فغرق الزرع، وهلكت الحيوانات، وعادت البلاد صحراء جرداء، وتفرق الناس أيدى سبأ أى فى بلاد عديدة، ومزقوا كل ممزق، وأصبحوا عظة وعبرة، لكل من يهمل بلده؛ أو يفسد البيئة، أو يتنكب الطريق الأمثل، قال تعالى: ﴿ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور﴾ (سورة سبأ: ١٧).

الإسلام والحياة

خلق الله آدم بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له الملائكة، وكرم الله بنى آدم، وخصهم بالعقل والإرادة والحرية والاختيار؛ والإسلام دين الحياة، ودين الفطرة السليمة؛ متوائم مع طباع الإنسان، متوافق مع إشباع ذاتيته الجسمية وذاتيته النفسية؛ قال تعالى: ﴿قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ (الأعراف: ٣٢).

وقد مدح الله التوسط فى النفقة، والأخذ بالحظ المعتدل من الدنيا وزينتها، والتمتع بالزوجة الحلال، والمتعة الحلال ومباهج الدنيا وزينتها فى حدود ما شرع الله:

قال تعالى ﴿يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ (الأعراف: ٣١).

وقال تعالى ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ (سورة الروم: ٢١).

إن الإيمان ليس مجرد اعتراف لله تعالى بالوحدانية، والتفرد بالخلق والملك. الإيمان منهج يأخذ بيد الإنسان فإذا به فى قوته كأنه قدر من أقدار الله تعالى فى الأرض، ويأخذ بيد المجتمع فإذا به طاهر الأحاسيس والمشاعر، نقى الخلق والسلوك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لن ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعت على أن يضروك بشىء لن يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك».

مشكلات الأحداث

الأسرة هى المحضن الطبيعى لرعاية الأبناء والبنات؛ ويجب على الأسرة رعاية أبنائها وتعليمهم، وحسن تربيتهم، كما يجب أن نعلمهم جانبا من القرآن الكريم، والحديث النبوى؛ وسيرة السلف الصالح، ونقدم لهم الأمثلة؛ والمثل الأعلى؛ ويجب أن يكون الأب والأم قدوة عملية فى السلوك والأقوال والأفعال.

وانحراف الأبناء المراهقين مشكلة عاتية، ومن أسبابها انصراف الآباء عن أبنائهم، بحجة توفير المال أو الانشغال بالأعمال التجارية أو الصناعية أو الزراعية أو غيرها من الأعمال؛ وكذلك انشغال الأمهات بأى سبب من الأسباب، فيجد الابن أو البنت نفسه ضائعا تائها، لا يجد أبا يعتمد عليه؛ أو أما تناقشه وتحاسبه وتتفهم أموره؛ فيصير كاليتيم؛ لا يجد سندا أو عونا أو صداقة أو حنانا فى الأسرة.

إن اليتيم هو الذى تلقى له أما تخلت أو أبا مشغولا

إن من واجبات الأب الجلوس مع أبنائه وقضاء وقت مناسب معهم؛ فى المنزل أو الحديقة، أو فى عطلةنهاية الأسبوع؛ يتجاذب معهم أطراف الحديث؛ ويتفهم شئونهم، ويهتم بأمورهم، ويحذرهم من أصدقاء السوء،

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه فكل قرين للمقارن ينسب

يجب أن نهتم بإقامة الصلاة فى أوقاتها؛ ونستحضر عظمة الله فيها؛ ونشرح لأبنائنا آداب الصلاة، وآداب الإسلام، مثل غض البصر والاستقامة، وأدب الحديث وصدق الوعد وأداء الأمانة، وترك الخيانة ومصاحبة الحكماء، ومجانبة السفهاء، وتقوى الله وإطاعة أوامره.

أثر العقيدة فى تقويم السلوك

وضع الإسلام الأساس الأول للتربية فى ظل العقيدة؛ ويتطلب ذلك من المسلم أن تكون وجهته لله وحده، فهو الذى يحميه ويرعاه، ولا يقدر أحد غيره أن يجلب له نفعا أو يمنع عنه ضررا، وفى الحديث الشريف «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله».

وقال تعالى: ﴿ وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعانِ﴾ (سورة البقرة: ١٨٦).

وبذلك يتحرر المسلم من الوسطاء، وشفاعة الشفعاء؛ والتربية فى إطار العقيدة ترشد المسلم إلى أن الله معه، لا تغيب عنه صغيرة ولا كبيرة.

ومن هنا يتعلم المسلم كيف يستبدل الخير بالشر، والحب بالبغض، والطاعة بالعصيان، قال تعالى: ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة،إن الله بكل شيء عليم ﴾ (سورة المجادلة: ٧).

لقد حرص الإسلام على أن يبنى الأمة على أساس الوحدة التى لا تعرف التفرق، والقوة التى لا تعرف الضعف، والحب الذى لا يعرف الكراهية والبغض.

وفى ظلال الوحدة والقوة والحب، يتعالى المسلم على الجنس والعصبية واللون والدم؛ ليحيا حياة إنسانية، يعطف على الناس جميعا؛ ويعاون الضعفاء والمحتاجين، ويرحم عباد الله أجمعين.

وفى الحديث الشريف: «ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء».

أدلة الإيمان

دعا القرآن إلى استخدام العقل والفكر، والتأمل فى ملكوت السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار، ﴿ وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض ﴾ (سورة البقرة: ١٦٤).

إن ارتفاع السماء وما فيها من شمس وقمر ونجوم وأبراج وأفلاك، وانبساط الأرض وما فيها من نبات وحيوان وإنسان؛ وبحار وأنهار وجبال وفضاء، وليل ونهار وموت وحياة؛ كل هذا وغيره يجعل الإنسان يتسائل من يصنع هذه العجائب كلها؟ من يدبرها؟ من ينظمها؟ من يهيمن عليها؟ من يخطط لها؟ إن الفطرة السليمة، تقتضى أن يكون رب هذا الكون؛ هو الإله الواحد، الدائم الأبدى، الذى لا يحيط به مكان، ولا يحده زمان، ولا يغيب سلطانه، ولا تتوقف إرادته؛ بيده مصائر الأمور؛ وفى مجال هذا الدوام الأبدى؛ عرض علينا إبراهيم عليه السلام؛ درسا فى الإيمان بهذا الإله الدائم.

فقد رأى إبراهيم نجماً لامعًا يشرق ويضىء قال هذا ربى؛ فلما أفل وغاب كفر به، فالإله لا يغيب؛ ثم تدرج فى تفكير منهجى إلى القمر وآمن به، فلما اختفى كفر به، ثم تتدرج إلى الإيمان بالشمس وهى أكبر قوة في هذا الوجود، فلما غابت؛ اتجه إلى الإيمان بالله وحده فقال: ﴿ إنى برىء مما تشركون * إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ﴾ (سورة الأنعام: ٧٨، ٧٩).

سماحة الإسلام

الإسلام فى صميمه دين التوحيد، توحيد الله سبحانه؛ فهو الخالق الرازق بيده الخلق والأمر، وهو على كل شىء قدير؛ وهو دين الوسطية يدعو إلى التمتع بالطيبات فى اعتدال؛ وإلى إصلاح الدنيا ومعاونة الآخرين؛ ومساعدة المحتاجين، وهو دين يحارب التفرقة العنصرية بجميع أشكلها وألونها؛ فالخلق جميعا أمام الله سواء؛ الله ربهم وهم عباده.

قال تعالى: ﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيرا ونساءً واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾ (النساء: ١).

إن العالم اليوم فى حاجة قصوى لنشر مبادئ الإسلام؛ فهو الملجأ الوحيد لهداية البشرية؛ وهو الدين الذى يحفظ للناس حقوقهم كاملة.

وقد قال الكاتب الإنجليزى الكبير برنارد شو:

«كنت ولا أزال أتناول دين محمد فأقدره تقديرا عظيما، إنه الدين الوحيد الذى يملك القدرة على هداية الغير، وملاءمة الأزمنة، فهو الحرى بأن يكون دين الجميع فى كل دور وطور، لقد تنبأت عن دين محمد أنه سيكون مقبولاً وملائماً لأوربا فى الوقت الحاضر، إن قساوسة القرون الوسطى، إما لجهلهم المطبق، وإما لتعصبهم الأعمى قد رسموا الدين الإسلامى بألوان سوداء...».

ثم قال: إن أوروبا ابتدأت تحس بحكمة محمد؛ وأنها بادئة فى عشق دينه وفلسفته، كما أنها ستبرئ العقيدة الإسلامية عما اتهمت به من أراجيف، وإن بوادر العصر الإسلامى الأوربى قادمة لا محالة.

الأخلاق وحماية البيئة

عنى الإسلام بالتربية، وحث على حسن اختيار الأم، حتى يخرج الإنسان مرتبطا بأسرته، سعيدا فى حياته، ملتحما بمجتمعه فى جو كله مودة وإخاء.

فإذا ما ولد المولود فعلى الأب أن يؤذن بأذان الصلاة فى أذنه اليمنى، ثم يقيم الصلاة بالألفاظ فى أذنه اليسرى؛ لتكون أول الكلمات التى يسمعها هى أن الله أكبر من كل شيء، وله العظمة وحده، وإن الصلاة عمود الدين.

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم الناس كيف يعلمون أبناءهم، ويبدأ التعليم من الصغر، لأن الإنسان يشب على ما تعود عليه، والشباب الذى يتربى على قوة العقيدة هو الناجح فى حياته، الذى يحترمه كل من يراه؛ لأن علاقته الطيبة بالله حببت فيه الناس.

لقد عنى الإسلام بقوة العقيدة وقوة الإيمان، وقوة الخلق. وفى الحديث الشريف: «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير».

لقد كان الإسلام صحوة فى الضمير، وقوة فى العقيدة، وتهذيبا للسلوك؛ ولقد فتح المسلمون البلاد بأخلاقهم وسلوكهم قبل أن يفتحوها بسيفهم ورماحهم.

والأخلاق الإسلامية حصانة لنا من التردى، وهى طريق عملى للمحافظة على البيئة وسلامتها، والعناية بها، ورعاية العمران والتشجير والنظافة؛ وكل نواحى الخير والتقدم والجد والعمل؛ قال صلى الله عليه وسلم: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

تم الكتاب والحمد لله رب العالمين...

المحتويات

الصفحة

الموضـــوع

رقم الايداع ٣٧٤٣/٢٠٠٠
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 09 - 0614 - X

مطابع الشروق
القاهرة :٨ شارع سيبويه المصرى ـ ت:٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس:٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨١٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٢١٣ ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)